القسم الثالث

علم البديع

البديع لغةً: المُخترعُ المُوجَدُ على غير مِثالٍ سابق. وهو مأخوذٌ ومُشتقٌّ من قولهم: بَدَعَ الشيءَ، وأَبدَعَه: اخترعَه لا على مِثال[1]. واصطلاحاً: هو علمٌ تُعْرف به الوجوهُ[2] والمزايا التي تزيدُ الكلامَ حُسناً وطلاوة، وتكسوهُ بهاءً ورَوْنقاً، بعدَ مُطابقته لمُقتضَى الحال. مع وُضوح دلالته على المُراد لفظاً ومعنى.

وواضعه عبدُ الله بن المُعتز العبَّاسي المُتوفَّى سنةَ ٢٧٤ هجرية. ثم اقتفى

---

(١) البديع: فَعيل بمعنى مُفعل، أو بمعنى مَفعول. ويأتي البديع بمعنى اسم الفاعل في قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧]، أي مبدعُها.

(٢) وجوهُ التحسين: أساليبُ وطرقٌ معلومةٌ وُضعت لتزيين الكلام وتنميقِه وتحسينِ الكلام بعلمي المعاني والبيان «ذاتي» وتحسينِ الكلام بعلم البديع «عرضي».
ووجوهُ التحسين إما معنوية، وإما لفظية، وأدخَلَ المتأخرون فيهما أنواعاً كثيرة. فالبديع المعنوي هو الذي وجبتْ فيه رعايةُ المعنى دونَ اللفظ، فيبقى معَ تغييرِ الألفاظ.
كقوله:

أتطلبُ صاحباً لا عيبَ فيهِ ... وأنتَ لكلِّ مَن تَهوى رَكوبُ؟

ففي هذا القول ضربان من البديع هما: الاستفهام والمقابلة لا يتغيرانِ بتبدلِ الألفاظ، كما لو قلتَ مثلاً: كيفَ تطلبُ صديقاً منزهاً عن كلِّ نقص، مع أنك أنت نفسُك ساعٍ وراءَ شهواتك!
والبديع اللفظي: هو ما رجعتْ وجوهُ تحسينِهِ إلى اللفظِ دون المعنى، فلا يبقى الشكلُ إذا تغيرَ اللفظُ، كقوله:

إذا مَلِكٌ لم يكن ذا هِبَةْ ... فدعْهُ فدولَتُهُ ذاهِبَةْ

فإنك إذا أبدلت لفظة (ذاهبة) بغيرها ولو بمعناها يسقطُ الشكلُ البديعيُّ بسقوطها.
وملخصُ القول أنَّ المحسناتِ المعنويةَ هي ما كان التحسينُ بها راجعاً إلى المعنى أولاً وبالذات، وإن حسنت اللفظ تبعاً، والمحسنات اللفظية هي ما كان التحسين بها راجعاً إلى اللفظ بالأصالة، وإن حسُنَتَ المعنى تبعاً.
وقد أجمع العلماءُ على أن هذه المحسناتِ خصوصاً اللفظية منها، لا تقعُ موقِعَها من الحسن، إلا إذا طلبَها المعنى، فجاءت عفواً بدونِ تكلف، وإلا فهي مبتذلة.

أثرَهُ في عصرِه قُدامةُ بنُ جعفرٍ الكاتبُ فزاد عليها. ثمَّ ألَّفَ فيه كثيرون كَأَبي هلالٍ العَسكريِّ وابنِ رشيقٍ القَيْروَانيِّ، وصفيِّ الدين الحِلّي، وابنِ حجَّةَ الحَمَوي، وغيرهم ممّن زادوا في أنواعه، ونظموا فيها قصائدَ تُعرف بالبديعيّات.

وفي هذا العلم بابان وخاتمة.

* * *

obeikandl.com

الباب الأول

في المحسنات المعنوية

(١) التورية[1]

التَّورية لغةً: مصدرُ ورَّيْتُ الخبرَ تورية؛ إذا سترتَه، وأظهرتَ غيره.

---

(١) التوريةُ: أن يطلقَ لفظٌ له معنيان؛ أحدُهما قريبٌ غيرُ مراد، والآخرُ بعيدٌ هو المراد، ويُدَلُّ عليه بقرينة يغلبُ أن تكون خفيةً لا يدركها إلا الفطن . وتنقسم التورية إلى أربعة أقسام: مجردة، ومرشحة، ومبينة، ومهيئة .

١- فالمجردة: هي التي لم تُقترن بما يلائم المعنيين، كقول الخليلِ لما سألَه الجبارُ عن زوجته: فقال: هذه أختي، أراد أخوةَ الدين . وكقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠] .

٢- والمرشحة: هي التي اقترنتْ بما يلائمُ المعنى القريب، وسُميت بذلك لتقويتها به، لأن القريبَ غيرُ مراد، فكأنه ضعيفٌ فإذا ذُكر لازمُه تَقَوَّى به، نحو ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧]، فإنه يحتملُ (الجارحةَ) وهو القريب . وقد ذكرَ من لوازمِه البنيانَ على وجه الترشيح . ويحتملُ (القدرة) وهو البعيدُ المقصودُ . وهي قسمانِ باعتبارِ ذكر اللازم قبلها أو بعدها .

٣- والمبينة: هي ما ذُكر فيها لازمُ المعنى البعيد، سُميت بذلك لتبيين المورَّى عنه بذكر لازمه، إذا كان قبل ذلك خفيّاً . فلما ذُكر لازمه تبين، نحو:

يا مَن رآني بالهمومِ مُطَوَّقاً ... وظللتُ مِن فقدي غُصوناً في شجونِ

أتلومُني في عظمِ نَوْحي والبكا ... شأنَ المطوَّقِ أنْ ينوحَ على غصونِ

وهي أيضاً قسمان باعتبار ذكر اللازم قبلُ أو بعد .

٤- والمهيئة: هي التي لا تقطعُ التوريةَ فيها إلا بلفظٍ قبلَها أو بعدها، فهي قسمان أيضاً:

فالأول - وهو ما تتهيأ بلفظٍ قبل، نحو قوله:

وأظهرتَ فينا من سِماتِكَ سُنَّةً ... فأظهرتَ ذاكَ الفرضَ مِن ذلكَ النَّدْبِ

فالفرض والندب معناهما القريب: الحكمان الشرعيان . والبعيد: الفرضُ، معناه العطاء . والندب: معناه الرجلُ السريعُ في قضاء الحوائج . ولولا ذكرُ السنَّة لما تهيأتِ التوريةُ ولا فهم الحكمان .

والثاني - وهو ما تتهيأ بلفظٍ بعدُ، كقول الإمام علي رضي الله عنه في الأشعثِ بنِ قيس: «إنه كان يحرك الشمال باليمين» . فالشمالُ معناها القريبُ ضدُّ اليمين . والبعيدُ جمعُ شَملة. ولولا ذكرُ اليمين بعدَه لما فَهم السامعُ معنى اليد الذي به التورية . ومن المجردة قوله:

حَملناهُمو طُرّاً على الدُّهم بعدها ... خَلَعنا عليهم بالطِّعانِ ملابسا

فإن الدُّهم له معنيان، قريب: وهو الخيلُ الدهم، وليس مراداً . وبعيد، وهو القيودُ =

واصطلاحاً: هي أن يَذكُرَ المُتكلِّمُ لفظاً مفرداً له معنيان؛ أحدُهما قريبٌ غيرُ مقصود ودَلالةُ اللَّفظ عليه ظاهرة. والآخرُ بعيدٌ مقصود، ودَلالةُ اللَّفظ عليه خَفِيَّةٌ، فَيَتوهَّم السّامعُ أنه يُريدُ المعنى القريبَ، وهو إنَّما يُريدُ المعنى البعيدَ بقرينةٍ تشيرُ إليه ولا تُظهره. وتَسترُه عن غيرِ المتيقِّظ الفطنِ، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾(١). أرادَ بقوله «جَرحتم» معناهُ البعيد، وهو ارتكابُ الذنوب. ولأجل هذا سُمِّيت التَّوْرية «إيهاماً وتخييلاً» وكقولِ سراجِ الدِّين الورَّاق:

أَصونُ أديمَ وجهيَ عن أُناس ... لقاءُ الموتِ عندهُمُ الأديبُ
ورَبُّ الشِّعر عندهُمُ بغيضٌ ... ولو وافَى بهِ لَهُمُ «حبيبُ»

وكقوله:

أبياتُ شعرِك كالقصو ... رِ ولا قصورَ بها يَعُوقْ
ومن العجائبِ لفظُها ... حُرٌّ ومعناها «رقيقْ»
بِرَغم شَبيبٍ فارقَ السيفُ كفَّهُ ... وكانا على العِلاّتِ يَصطحبانِ
كأنَّ رِقابَ الناس قالتْ لسيفه: ... رفيقُك قَيْسِيٌّ وأنتَ يَماني(٢)

(٢) الاستخدام

الاسْتِخدامُ: هو ذكرُ لَفظٍ مُشترك بين معنيين، يُرادُ بهِ أحدهما. ثم يُعادُ عليه ضميرٌ، أو إشارةٌ بمعناه الآخر، أو يُعادُ عليه ضميرانِ يُرادُ بثانيهما غيرُ ما يرادُ بأوَّلهما.

فالأول - كقوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾(٣) أُريدَ أوَّلاً

= الحديدُ السودُ، وهو المراد، ومن المرشحة قوله تعالى: ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩، فإن المراد من اليدِ الذِّلَّة . وقد اقترنتْ بالإعطاء الذي يناسبُ المعنى القريب، وهو العضو .

(١) سورة الأنعام، الآية: ٦٠ .

(٢) يريد أن كفَّ (شبيب وسيفه) متنافران، لا يجتمعان . لأن شبيباً كان قيسيّاً، والسيفُ يقال له: (يماني) . فورَّى به عن الرجل المنسوب إلى اليمن . ومعلومٌ ما بينَ قيس واليمن من التنافر، فظاهرُ قوله: (يماني) أنه رجلٌ منسوب إلى اليمن، ومرادُه البعيدُ الدلالةُ على السيف، لأن كلمة يماني من أسمائه .

(٣) سورة البقرة، الآية ١٨٥ .

بالشَّهر (الهلال)، ثم أُعيدَ عليه الضَّميرُ أخيراً بمعنى أيام رمضان. وكقول معاوية بن مالك:

إذا نـزلَ الـسّـمـاءُ بـأرضِ قـومٍ رَعـيـنـاهُ وإنْ كـانـوا غِـضـابـا

أرادَ بالسماء المطرَ وبضميره في «رعيناه» النَّبات[1]، وكلاهما معنى مجازي للسماء.

والثاني - كقول البحتري:

فسقى الغَضا والسَّاكِنيه وإنْ هُمو شَبُّوهُ بينَ جَوانِحِي وضُلوعي

الغَضا: شجرٌ بالباديةِ، وضميرُ ساكِنيه أوّلاً راجعٌ إلى الغَضا باعتبارِ المكان، وضميرُ شَبُّوه عائدٌ ثانياً إلى الغضا بمعنى النارِ الحاصلةِ من شجرِ الغضَا. وكلاهما مجازٌ للغضَا.

(٣) الاستطراد

الاستطرادُ: هو أن يَخْرُجَ المتكلِّمُ من الغرض الذي هو فيه إلى غرضٍ آخرَ لمُناسبةٍ بينهما، ثم يرجعَ فينتقلُ إلى إتمامِ الكلامِ الأول، كقول السموءَل:

---

(١) ملخص الاستخدام: هو أن يؤتَى بلفظٍ له معنيان، فيرادُ به أحَدُهما، ثم يرادُ بضميرِهِ المعنى الآخر، كقول الشاعر:

وللغزالة شيء من تلفته ونورها من ضيا خديه مكتسب

أراد الشاعر بالغزالة الحيوان المعروف، وبضمير (نورها) الغزالة بمعنى الشمس.

وكقوله:

رأى العقيقَ فأجرى ذاكَ ناظِرَهُ مُتَيَّمٌ لجَّ في الأشواقِ خاطِرُهُ

وكقوله:

إذا لم أبرقِعْ بالحيا وجهَ عِفَّتي فلا أشتهَشُ[2] احتي بالتَّكرُمِ

ولا كنتُ ممن يكسِرُ الجفنَ بالوغى إذا أنا لم أغضُضْهُ عن رأي محرمِ

وقال الآخر في الدعاء: «أقرَّ الله عينَ الأمير وكفاه شَرَّها، وأَجْرى له عذبَها، وأكثرَ لديهِ تِبْرَها».

وكقول الشاعر:

رحلتم بالغداة فبتُّ شوقاً أسائل عنكم في كل ناد

أراعي النجمَ في سَيري إليكم ويرعاهُ منَ البَيْدا جوادي

وإنّا لقومٌ لا نَرى القتلَ سُبَّةً إذا ما رأتْهُ عامرٌ وسَلولُ
يُقرِّبُ حُبُّ الموتِ آجالَنا لنا وتكرهُهُ آجالُهُمْ فتَطُولُ

فسياقُ القصيدة للفخرِ بقومه، وانتقلَ منهُ إلى هجوِ قَبيلَتي «عامر وسَلول»، ثم عادَ إلى مقامهِ الأول، وهو الفخرُ بقومه، وكقوله:

لنا نفوسٌ لنيلِ المجدِ عاشقةٌ فإنْ تَسَلَّتْ أسَلناهَا على الأسَلِ
لا ينزلُ المجدُ إلا في مَنازلنا كالنَّوم ليسَ له مأوى سوَى المُقَلِ

(٤) الافتنان

الافْتِنانُ: هو الجمعُ بين فَنَّين مُختلفين كالغزلِ، والحماسَة، والمدْح، والهِجاء، والتّعزية، والتّهنئة، كقول عبدِ الله بن هَمّام السَّلولي جامعاً بين التّعزية والتّهنئة حينَ دخلَ على يزيدَ، وقد ماتَ أبوه مُعاوية، وخلفه هو في الملك:

«آجرك الله على الرزيّة، وبارك لك في العطيَّة، وأعانكَ على الرعيَّة. فقد رُزئتَ عظيماً، وأعطيت جسيماً، فاشكُرِ الله على ما أُعطيتَ، واصبر على ما رُزيتَ؛ فقد فقدت الخليفة، وأُعطيتَ الخلافةَ، ففارقتَ خليلاً ووُهبتَ جليلاً»:

اصبِرْ يزيدُ فقد فارقتَ ذا ثقةٍ واشكُرْ حِبَاءَ الذي بالمُلكِ أصفاكا
لا رُزءَ أصبَحُ في الأقوام نَعلمُه كما رُزئتَ ولا عُقبَى كعُقْباكا

وكقول عنترةَ يخاطب عَبْلَة:

ولقد ذكرتُكِ والرِّماحُ نَواهِلٌ منِّي وبِيضُ الهندِ تَقْطُر مِن دمي
فوددْتُ تَقبيلَ السُّيوفِ لأنها لَمعتْ كبارقِ ثَغرِكِ المُتبسِّمِ

(٥) الطباق[1]

الطباق: هو الجمعُ بينَ لَفظين مُتَقابلين في المعنى. وهما قد يكونان

(١) ويسمى بالمطابقة، وبالتضاد، وبالتطبيق، وبالتكافؤ، وبالتطابق . وهو أن يجمعَ المتكلم في كلامه بينَ لفظين، يتنافى وجودُ مسماهما معاً في شيء واحد في وقت واحد، بحيث يجمعُ المتكلمُ في الكلام بين معنيين متقابلين، سواء كان ذلك التقابل تقابل الضدين، أو النقيضين، أو الإيجاب والسلب، أو التضايف .

اسمين، نحو قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾(١). وكقوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾(٢). أو فعلين، نحو قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾(٣). وكقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾(٤). أو حرفين، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾(٥). أو مختلفين، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾(٦)(٧). ونحو قوله تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾(٨).

فيكون تقابلُ المعنيين وتخالُفهما ممّا يَزيدُ الكلامَ حُسناً وطَرافة.

---

(١) سورة الحديد، الآية ٣ .
(٢) سورة الكهف، الآية ١٨ .
(٣) سورة النجم، الآيتان ٤٣ و٤٤ .
(٤) سورة الأعلى، الآية ١٣ .
(٥) سورة البقرة، الآية ٢٢٨ .
(٦) سورة الرعد، الآية ٣٣ .
(٧) والطباق ضربان؛ أحدهما طباقُ الإيجاب: وهو ما لم يختلفْ فيه الضدان إيجاباً وسَلباً، نحو: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦] . وكقوله:

حُلو الشمائلِ وهوَ مُرٌّ باسِلٌ يَحمي الذِّمارَ صبيحةَ الإرهاقِ

وثانيهما طباقُ السلب: وهو ما اختلفَ فيه الضدان، إيجاباً وسلباً بحيث يجمعُ بين فعلينِ من مصدرٍ واحد، أحدهما مثبتٌ مرةً، والآخَرُ منفيٌّ تارةً أخرى في كلام واحد، نحو: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٨]، ونحو: ﴿لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الروم: ٦ ـ٧]، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩] . أو أحدهما أمر، والآخر نهي نحو: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [الأعراف: ٣]، ونحو: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤].

وملخصُ الطباق الذي هو الجمع بين معنيين متقابلين في كلام واحد، وهو نوعان:

(١) طباقُ سلب، وهو أن يجمعَ بين فعلين من مصدرٍ واحد، أحدُهما مثبت، والآخر منفيّ . وأحدُهما أمْرٌ، والآخر نهي .

(٢) طباق الإيجاب، وهو ما كانَ تقابلُ المعنيين فيه بالتضاد .

ويلحقُ بالطباق ما بُنيَ على المضادَّة تأويلاً في المعنى، نحو: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ [الفتح: ١٤]، فإن التعذيبَ لا يقابِلُ المغفرةَ صريحاً لكن على تأويلِ كونه صادراً عن المؤاخذة التي هي ضدُّ المغفرة، أو تخيلاً في اللفظ باعتبارِ أصل معناه، نحو: ﴿مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الحج: ٤]، أي يقودُه فلا يقابلُ الضلالةَ بهذا الاعتبار، ولكنَّ لفظه يقابلُها في أصلِ معناه . وهذا يقال له: إيهام التَّضاد .

(٨) سورة الأنعام، الآية ١٢٢ .

(٦) المقابلة

المُقابلةُ: هي أن يُؤتَى بمعنيين مُتوافقين أو مَعانٍ مُتَوافقَةٍ، ثم يُؤتَى بما يُقابل ذلكَ على التّرتيب، كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾[١] وكقوله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾[٢].

وقال ﷺ للأنصار: «إنكم لتكثرون عند الفَزَع وتقِلُّون عند الطَّمع». وقال خالدُ بن صفوانَ يَصِفُ رجلاً: «ليس له صديقٌ في السرّ ولا عدوٌّ في العلانية». وكقوله:

فتًى كان فيهِ ما يَسُرُّ صديقَهُ ... ولكنَّ فيهِ ما يسوءُ الأعاديا

وكقوله:

وباسطُ خيرٍ فيكُمُ بيمينهِ ... وقابضُ شَرٍّ عنكُمُ بشمالهِ

وكقوله:

ما أحسنَ الدِّينَ والدُّنيا إذا اجتمعا ... وأقبحَ الكُفْرَ والإفلاسَ بالرجلِ!

وكقوله:

يا أُمَّةً كان قُبحُ الجَور يُسْخِطُها ... دهراً فأصبحَ حسنُ العدلِ يُرضيها

(٧) مراعاة النظير[٣]

مُراعاةُ النَّظير: هي الجمعُ بينَ أمرين، أو أمورٍ مُتناسبة، لا على جهةِ التَّضاد، وذلك إمّا بين اثنين، نحو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٤]. وإمَّا بينَ أكثر، نحو قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾[٥].

ويُلحقُ بمُراعاة النظير ما بُنيَ على المناسبة في المعنى بينَ طرفي الكلام.

---

(١) سورة الليل، الآيات من ٥ إلى ١٠ .
(٢) سورة الأعراف، الآية ١٥٧ .
(٣) وتسمى بالتناسب، والتوافق، والائتلاف .
(٤) سورة الشورى، الآية ١١ .
(٥) سورة البقرة، الآية ١٦ .

يعني أن يُختَمَ الكلامُ بما يناسِبُ أوَّله في المعنى، نحو قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[1]. فإن «اللطيفَ» يُناسبُ عدمَ إدراكِ الأبصار له، و«الخبير» يناسب إدراكه سبحانه وتعالى للأبصار.

وما بُنيَ على المناسبة في اللفظ باعتبارِ معنًى له غيرِ المعنى المقصود في العبارة، نحو قوله تعالى: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦﴾[2]. فإنَّ المرادَ بالنَّجم هنا النَّبات، فلا يناسبُ الشمسَ والقمرَ، ولكن لفظه يناسِبُهما، باعتبارِ دلالتهِ على الكواكب. وهذا يقالُ له: «إيهام التَّناسُب» كقوله:

- كأنَّ الثُّريا عُلِّقَتْ في جبينها ... وفي نحرِها الشِّعرى وفي خدِّها القمرْ
- والطَّلُّ في سِلك الغصونِ كلؤلُؤٍ ... رَطبٍ يُصافحُه النَّسيمُ فيسقطُ
والطيرُ يقرأ والغديرُ صفيحةٌ ... والريحُ تكتبُ والغمامُ يُنقِّطُ

(٨) الإرصاد

الإرصادُ: هو أن يُذكر قبلَ الفاصلة «من الفِقْرة»، أو القافية «من البيت» ما يدلُّ عليها إذا عُرف الرَّوِيُّ، نحو قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾[3].

ونحو قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[4][5]، وكقول الشاعر:

أَحَلَّتْ دَمي من غيرِ جُرمٍ وحَرَّمتْ ... بلا سَببٍ عندَ اللقاءِ كلامي
فليسَ الذي حَلَّلْتِه بمُحَلَّلٍ ... وليس الذي حَرَّمتِهِ بمُحَرَّمِ

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١٠٣ .

(٢) سورة الرحمن، الآيتان ٥ و٦ .

(٣) سورة ق، الآية ٣٩ .

(٤) فالسامع: إذا وقف على قوله تعالى: ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ بعد الإحاطة بما تقدَّمَ علم أنه ﴿وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ . وكذلك البصير بمعاني الشعر وتأليفه، إذا سمعَ المصراعَ الأولَ (أحلت دمي- إلخ) علم أن العجز (وحرمت- إلخ) ليس إلا ما قاله الشاعر .

(٥) سورة العنكبوت، الآية ٤٠ .

ونحو:

إذا لم تستطعْ شيئاً فدَعْهُ وجاوِزْهُ إلى ما تستطيعُ

وقد يُستغنى عن معرفة الرويِّ، نحو قوله تعالى ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾(١).

(٩) الإدماج

الإدماج: هو أنْ يُضمَّنَ كلامٌ قد سِيق لمعنى، معنًى آخرَ، لم يُصرَّحْ به، كقول المتنبي:

أقلِّبُ فيه أجفاني كأنِّي أعُدُّ بهِ على الدهرِ الذُّنوبا

ساق الشاعر هذا الكلامَ أصالةً لبيان طولِ الليلِ، وأدمجَ الشكوى منَ الدهر في وصفِ الليل بالطول.

(١٠) المذهب الكلامي

المذهب الكلاميُّ هو أن يُورِدَ المتكلمُ على صِحَّة دعواهُ حُجَّةً قاطعة مُسلَّمة عند المخاطب، بأن تكون المقدِّماتُ بعد تسليمها مستلزِمةً للمطلوب، كقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾(٢). واللازمُ وهو الفسادُ باطل، فكذا الملزومُ وهو تعدُّدُ الآلهة باطل. وليس أدلَّ على ذلك من الحقيَّة والواقع. وكقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾(٣). ونحو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾(٤) أي وكلُّ ما هو أهونُ عليه فهو أدخَلُ تحت الإمكان، فالإعادةُ ممكنةٌ. وسُمِّي هذا النوعُ بالمذهب الكلاميِّ لأنه جاءَ على طريقةِ علم الكلام والتوحيد. وهو عبارةٌ عن إثباتِ أصولِ الدين بالبراهين العقلية القاطعة.

---

(١) سورة النحل، الآية ٦١ .
(١) سورة الأنبياء، الآية ٢٢ .
(٢) سورة الحج، الآية ٥ .
(٤) سورة الروم، الآية ٢٧ .

(١١) حسن التعليل

حُسْنُ التَّعليل[١] هو أن يُنكرَ الأديبُ صراحةً، أو ضِمناً، عِلَّةَ الشَّيء المعروفة، ويأتي بعلةٍ أخرى أدبيةٍ طريفة، لها اعتبارٌ لطيف، ومشتملةٌ على دِقَّةِ النّظر، فيزدادُ بها المعنى المُرادُ الذي يَرمي إليه جَمالاً وشرفاً. كقول المعرّي في الرِّثاء:

وما كُلْفَةُ البدرِ المنيرِ قَديمةً ولكنَّها في وَجْهِه أثَرُ اللَّطْمِ

يقصدُ أنَّ الحزنَ على المرثيِّ شملَ كثيراً من مظاهرِ الكون، فهو لذلك يَدَّعي أن كُلفةَ البدر (وهي ما يظهرُ على وجهه من كُدرة) ليست ناشئةً عن سبب طبيعي، وإنما هي حادثة من أثرِ اللَّطم على فراق المرثي. ومثلُه قولُ الشاعر الآخر:

أما ذُكاءُ فلم تصفَرَّ إذ جنحَتْ إلا لِفُرْقَةِ ذاكَ المنظَرِ الحسنِ

يقصدُ أن الشمسَ لم تَصفرَّ عندَ الجنوحِ إلى المغيبِ للسببِ المعروف ولكنها اصفرَّتْ مخافةَ أن تفارق وجهَ الممدوح. ومثلُه قول الشاعر الآخر:

ما قصَّرَ الغيثُ عن مصرٍ وتُربَتِها طبعاً ولكنْ تَعدَّاكُم من الخجلِ

ولا جَرى النِّيلُ إلا وهوَ معترفٌ بِسَبْقِكمْ، فلذا يجري على مَهَلِ

ينكر هذا الشاعرُ الأسبابَ الطبيعيَّة لقلة المطرِ بمصر، ويلتمسُ لذلك سبباً آخر، وهو أن المطر يَخجلُ أن ينزلَ بأَرْضٍ يعمُّها الممدوح جودُه، لأنه لا يستطيعُ مباراتَه في الجود والعطاء. ولا بدَّ في العلة أن تكونَ ادِّعائيةً.

ثم الوصف أعمُّ من أن يكون ثابتاً فيُقصدُ بيانُ علَّته، أو غيرَ ثابتٍ فيرادُ إثباته:

أ - فالأول - وصفٌ ثابتٌ غير ظاهر العلّة، كقوله:

---

(١) من الأشياء ما له صفة ثابتة ذات علة معروفة، أو غير معروفة؛ كزلزلة الأرض، وسقوطِ المطر من السحب، ومقاتلة الأعداء، وبزوغ القمر وأفوله، ونحو ذلك . فيلتمس الأدباء لها عللاً أخرى فيها طرافةٌ وحسن؛ يزدادُ بها المعنى الذي يريدون تقريره جمالاً وشرفاً . فحسنُ التعليل: هو استنباطُ علةٍ مناسبة للشيء غيرِ حقيقية، بحيث تكونُ على وجهٍ لطيف بليغٍ، يحصلُ بها زيادةٌ في المقصود .

بينَ السيوفِ وعينيها مشاركةٌ من أجلها قيلَ للأجفانِ[١]: أجفانُ

وقوله:

لم يَحْكِ نائِلَك السحابُ وإنما حُمَّتْ به فصَبِيبُها الرُّحَضَاءُ[٢]

وقوله:

زعمَ البنفسجُ أنَّه كعِذارِهِ حُسْناً، فسلُّوا مِن قَفاهُ لسانَهُ

---

(١) مفردها جفن وهو غمد السيف .

(٢) أي أن السحائبَ لا تقصدُ محاكاةَ جودِك بمطرها، لأن عطاءَك المتتابع أكثر من مائها وأغزر. ولكنها حُمَّتْ حسداً لك . فالماءُ الذي ينصبُّ منها هو عرقُ تلك الحمى . فالرحضاء: عرق الحمى . وكقوله:

لم يطلعِ البدرُ إلا مِن تَشوُّقهِ إليك حين يوافي وَجْهَكَ النَّضرا
ولا تغيَّبَ إلا عندَ خَجلتهِ لما رآك فولَّى عنك واسْتَتَرا

وكقوله:

سألتُ الأرضَ لِمْ كانتْ مُصَلّى؟ ولم جُعلتْ لنا طُهراً وطِيبا؟
فقالتْ غيرَ ناطقةٍ: لأني حويتُ لكلِّ إنسانٍ حَبيبا

وكقوله:

عيونُ تبرٍ كأنها سَرقَتْ سوادَ أحداقِها منَ الغسق
فإنْ دَجا ليلُها بظلمتهِ تضَمُّها خيفةً من السَّرَقِ

وكقوله:

ما زُلْزِلَتْ مصرُ مِن كيدٍ يرادُ بها وإنما رقصَتْ مِن عدلهِ طَربا

وكقوله:

لا تُنكروا خفقانَ قلبي إذِ الحبيبُ لديّ حاضِرْ
ما القلبُ إلا دارُهُ دُقَّتْ له فيها البشائِرْ

وكقوله:

أرى بدرَ السماء يلوحُ حيناً ويبدو ثم يلتحفُ السَّحابا
وذاكَ لأنه لما تَبَدَّى وأبصرَ وجهَكَ استحيا وغابا

وكقوله:

لما تؤذن الدنيا به في صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولد

وكقوله:

ولو لم تكنْ ساخطاً لم أكنْ أذمُّ الزمانَ وأشكو الخطوبا

وكقوله:

قد طيَّبَ الأفواهَ طيبُ ثنائهِ مِن أجلِ ذا تجدُ الثغورَ عِذابا

فخروجُ ورقةِ البنفسج إلى الخلفِ لا عِلَّةَ له، لكنه ادَّعى أن علَّتَه الافتراءُ على المحبوب.

ب - أو وصفٌ ثابتٌ ظاهرُ العلة، غيرُ الذي تُذكر، كقولِ المتنبي:

ما بهِ قَتْلُ أعاديهِ ولكنْ يَتَّقي إخْلافَ ما تَرْجو الذِّئابُ

فإنَّ قتلَ الأعادي عادةٌ للملوك، لأجل أن يَسْلموا من أذاهُم وضَرِّهم. ولكنَّ المتنبي اخترعَ لذلك سبباً غريباً؛ فتخيَّلَ أن الباعثَ له على قتلِ أعاديه لم يكُنْ إلا ما اشتهرَ وعُرف به، حتى لدى الحيوانِ الأعجم من الكرم الغريزيِّ، ومحبتِه إجابةَ طالبِ الإحسان ومن ثَمَّ فتكَ بهم، لأنه علم أنه إذا غدا للحرب رجَتِ الذئابُ أن يتسعَ عليها رزقُها، وتنالَ من لحوم أعدائه القتلى، وما أراد أن يُخيِّب لها مطلباً.

والثاني- وصفٌ غيرُ ثابت، وهو:

١- إمّا مُمكن، كقول مسلم بن الوليد:

يا واشياً حَسُنَتْ فينا إساءتُه نَجَّى حِذارُك إنْساني[1] منَ الغَرقِ

فاستحسانُ إساءةِ الواشي ممكنٌ، ولكنَّه لما خالفَ الناسَ فيه عَقَّبه بذكرِ سببهِ، وهو أنَّ حذارَه من الواشي منعَه من البكاءِ، فسلمَ إنسانُ عينهِ من الغرقِ في الدموع.

٢- وإمّا غير ممكن، كقولِ الخطيبِ القزويني:

لو لم تكن نِيّةُ الجوزاء خِدمتَهُ لَمَا رأيتَ عليها عِقدَ مُنتَطِقِ

فقد ادَّعى الشاعرُ أنَّ الجوزاءَ تريدُ خدمةَ الممدوح. وهذه صفةٌ غيرُ مُمكنة، ولكنه عَلَّلها بعلةٍ طريفةٍ، ادَّعاها أيضاً ادِّعاءً أدبيًّا مقبولاً إذ تصوَّرَ أنَّ النجومَ التي تُحيط بالجوزاء، إنما هي نطاقٌ شَدَّته حولها على نحوِ ما يفعلُ الخدمُ، ليقوموا بخدمةِ الممدوح[2].

---

(١) أي بؤبؤ عيني .

(٢) ومثلُه قولُ ابن المعتز:

قالوا: اشتكتْ عينُه فقلت لهم: مِن كثرةِ القتلِ نالَها الوَصَبُ

حُمرتُها من دماءِ مَن قتلتْ والدمُ في السيفِ شاهدٌ عَجَبُ

وكقوله:

(١٢) التجريد

التَّجريدُ لغةً: إزالةُ الشيء عن غيرِه. واصطلاحاً: أن ينتزعَ المتكلِّمُ من أمرٍ ذي صفةٍ أمراً آخر مثلَه في تلك الصفة، مبالغةً في كمالها في المنتزع منه، حتى إنه قد صارَ منها بحيثُ يمكنُ أن ينتزعَ منه موصوفٌ آخَرُ بها. وأقسامُ التجريد كثيرة:

أ - منها: ما يكونُ بواسطةٍ مِنَ التجريديَّة، كقولك: لي من فلانٍ صديقٌ حميم. أي بلغَ فلانٌ من الصداقة حدّاً صحَّ معه أن يستخلصَ منه آخرَ مثلَه فيها. ونحو:

تَرى منهمو الأسْدَ الغضابَ إذا سَطَوا ... وتَنظرُ منهم في اللِّقاءِ بُدورا

ب - ومنها، ما يكون بواسطةِ الباء التجريدية الداخلةِ على المنتزع منه، نحو قولهم: «لئن سألتَ فلاناً لتسألنَّ به البحرَ». بالغَ في اتِّصافِه بالسماحةِ، حتى انتزَع منه بحراً فيها.

ج- ومنها، ما لا يكونُ بواسطةٍ، نحو: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾[1].

د- ومنها، ما يكونُ بطريقِ الكناية، كقول الأعشى:

يا خيرَ مَن يركَبُ المطيَّ ولا ... يشربُ كأساً بكفِّ مَن بَخِلا[2]

= فلئن بقيتُ لأرحلنَّ بغزوةٍ ... تَحوي الغنائمَ أو يموتَ كريمُ

وكقوله:

عِداتي لهم فضلٌ عليّ ومنَّةٌ ... فلا أذهبَ الرحمنُ عني الأعاديا

هُمو بحثوا عن زَلَّتي فاجْتَنَبْتُها ... وهُمْ نافَسوني فاكتسبتُ المعاليا

وكقوله:

لو لم يكن أقحواناً ثغرُ مبسِمِها ... ما كانَ يزداد طيباً ساعةَ السحرِ

(١) سورة التوبة، الآية ١٢ .

(٢) أي يشربُ الكأسَ بكفِّ الجواد، انتزع منه جواداً يشربُ هو بكفِّه على طريق الكناية، لأنَّ الشربَ بكفِّ غير البخيل يستلزمُ الشربَ بكفِّ الكريم . وهو لا يشربُ إلا بكفِّ نفسه، فإذاً هو ذلك الكريم .

ومنَ التجريدِ خطابُ المرء نفسَه، كقول المتنبي:

لا خيلَ عندك تُهديها ولا مالُ ... فليُسْعِدِ النطقُ إن لم تُسْعِدِ الحالُ

أي الغنى؛ فقد انتزعَ من نفسهِ شخصاً آخر وخاطبَه، وهذا كثيرٌ في كلام الشعراء . وإنما=

(١٣) المشاكلة

المُشاكَلَةُ: هي أن يُذكرَ الشَّيءُ بلفظِ غيرِهِ لوقوعهِ في صُحبته كقوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾[١] المرادُ: ولا أعلمُ ما عندك. وعبَّرَ بالنفس للمُشاكلة. ونحو قوله تعالى: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾[٢]. أي: أهملهم. ذكرَ الإهمالَ هنا بلفظِ النسيان لوقوعه في صحبته.

ومن ذلك ما حُكي عن أبي الرَّقَعْمَق أنّ أصحاباً له أرسلوا يدعونه إلى الصَّبوح في يوم بارد، ويقولون له: ماذا تريدُ أن نصنعَ لك طعاماً؟ وكان فقيراً ليسَ له كسوةٌ تَقيهِ البردَ، فكتب إليهم يقول:

أصحابُنا قَصَدوا الصَّبوحَ[٣] بسُحْرَةٍ ... وأتى رسولُهُمُ إليَّ خَصِيما

قالوا: اقترِحْ شيئاً نَجِدْ لك طبخَهُ ... قلتُ: اطبُخوا لي جُبَّةً وقَميصا[٤]

وكقوله:

مَن مُبلِغٌ أفناءَ يَعرُبَ كلَّها ... أنّي بنيتُ الجارَ قبلَ المنزلِ

وكقوله:

ألا لا يجهلَنْ أحدٌ علينا ... فنجهلَ فوقَ جهلِ الجاهلينا

(١٤) المزاوجة

المُزاوجَةُ: هي أن يُزاوِجَ المتكلِّمُ بينَ معنيين في الشَّرط والجزاء، بأن يُرتِّبَ على كلٍّ منهما معنًى، رُتب على الآخر، كقوله:

إذا ما نَهى الناهي فلجَّ بيَ الهوى ... أصاخَتْ إلى الواشي فلجَّ بها الهجْرُ

= سُمي هذا النوعُ تجريداً لأنَّ العربَ تعتقدُ أنَّ في الإنسان معنًى كامناً فيه كأنه حقيقته، فتخرجُ ذلك المعنى إلى ألفاظِها مجرداً عن الإنسان كأنه غيره. وفائدةُ هذا النوع (مع التوسع) أن يثبتَ الإنسانُ لنفسه ما لا يليقُ التصريحُ بثبوتهِ له.

(١) سورة المائدة، الآية ١١٦.

(٢) سورة الحشر، الآية ١٩.

(٣) خمرة الصباح.

(٤) أي خَيِّطوا لي جبةً وقميصاً. فذكرَ الخياطةَ بلفظِ الطبخ لوقوعهِ في صُحبة طبخ الطعام.

زاوجَ بينَ النهي والإصاخةِ في الشّرط والجزاءِ بترتيبِ اللَّجاجِ عليهما. وكقوله:

إذا احتربتْ يوماً ففاضَتْ دماؤها تذكَّرتِ القُربى ففاضَتْ دموعُها

زاوجَ[١] بينَ الاحترابِ (أي التَّحاربُ) وبينَ تذكُّر القُربَى في الشرط والجزاء بترتيب الفيض عليهما.

(١٥) الطيُّ والنشر

الطّيُّ والنَّشر: أن يُذكرَ ما لكلٍّ من أفرادهِ شائعاً من غيرِ تعيين، اعتماداً على تَصرُّفِ السامع في تمييزِ ما لكلٍّ واحدٍ منها، وردِّه إلى ما هوَ لهُ. وهو نوعان:

أ- إمَّا أن يكون النَّشْرُ فيه على ترتيبِ الطَّي، نحو قوله تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾[٢] فقد جمعَ بين الليل والنَّهار، ثم ذكرَ السكونَ للَّيل، وابتغاءَ الرزق للنهار، على التّرتيب. وكقوله:

عيونٌ وأصداغٌ وفرعٌ وقامةٌ وخالٌ ووَجْنَاتٌ وفَرْقٌ[٣] ومَرْشَفُ

سيوفٌ ورَيحانٌ وليلٌ وبانَةٌ ومِسْكٌ وياقوتٌ وصُبْحٌ وقَرْقَفُ[٤]

وكقوله:

فعلُ المدامِ ولونُها ومذاقُها في مُقلتيهِ ووجنَتَيْهِ وريقهِ

ب- وإمَّا أن يكون النشرُ على خلافِ ترتيب الطَّيِّ، نحو: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾[٥]. ذكرَ ابتغاءَ الفضلِ للثاني، وعلم الحساب للأول، على خلافِ الترتيب.

---

(١) المزاوجة: المشابهة؛ يقال: زاوجَ أي خالطَ. وأشبهَ بعضُه بعضاً في السجع أو الوزن.
(٢) سورة القصص، الآية ٧٣.
(٣) الفرق: الشعر.
(٤) القرقف: الخمرة.
(٥) سورة الإسراء، الآية ١٢.

وكقوله:

ولحظُهُ ومُحَيَّاهُ وقامتُهُ بدرُ الدُّجى وقَضيبُ البانِ والرَّاحُ

فبدرُ الدُّجى راجعٌ إلى «المُحيَّا» الذي هو الوجهُ، و«قضيب البان» راجعٌ إلى «القامة»، والراحُ راجعٌ إلى «اللَّحظ» ويُسَمَّى اللَّف والنَّشر أيضاً.

(١٦) الجمع

الجَمْعُ: هو أن يجمعَ المتكلِّم بينَ متعدِّد تحتَ حكم واحد، وذلك:

أ - إمّا في اثنين، نحو قوله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[١]. ونحو قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[٢].

ب - وإما في أكثر، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ﴾[٣]. وكقوله:

إنّ الشبابَ والفراغَ والجِدَه مَفسدةٌ للمرءِ أيَّ مَفْسَدَه

وكقوله:

آراؤه وعطاياهُ ونعمتُه وعفوُهُ رحمةٌ للنّاسِ كُلِّهِمِ

وكقوله:

آراؤكم ووجوهُكم وسُيوفُكم في الحادثاتِ إذا دَجَوْنَ نجومُ

(١٧) التفريق

التّفريق: أن يُفرَّقَ بينَ أمرينِ من نوع واحد في اختلافِ حكمهما، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾[٤]، وكقول الشاعر:

ما نوالُ الغمامِ وقتَ ربيعٍ كنوالِ الأميرِ يومَ سخاءِ

فنوالُ الأميرِ بَدرَةُ عينٍ ونوالُ الغمامِ قَطرةُ ماءِ

(١) سورة الكهف، الآية ٤٦ .
(٢) سورة الأنفال، الآية ٢٨ .
(٣) سورة المائدة، الآية ٩٠ .
(٤) سورة فاطر، الآية ١٢ .

وكقوله:

مَن قاسَ جَدواكَ يوماً بالسُّحبِ أخطأ مدحَكْ
السُّحبُ تُعطي وتَبكي وأنتَ تُعطي وتَضحَكْ

وكقوله:

من قاسَ جَدواكَ بالغمام فما أنصفَ في الحكمِ بينَ شكلينِ
أنتَ إذا جُدتَ ضاحكٌ أبداً وهْوَ إذا جادَ دامعُ العينِ

وكقوله:

ورْد الخدود أرقّ من وَرد الرّياض وأنعمُ
هذاكَ تَنشُقهُ الأنو فُ وذا يُقبِّلُه الفمُ

(١٨) التقسيم

التّقْسيم: هو أن يُذكرَ مُتعدِّد، ثم يُضافُ إلى كلٍّ من أفراده، ما له على جهة التّعيين، نحو: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾﴾[1].

وقد يطلق التقسيم على أمرين آخرين:

أوَّلهما - أن تُستوفَى أقسامُ الشيء، نحو قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾﴾[2].

وثانيهما - أن تُذكر أحوالُ الشيء، مضافاً إلى كلٍّ منها ما يليقُ به، كقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾[3]. وكقوله:

سأطلبُ حَقِّي بالقَنا ومشايخٍ كأنهمو من طولِ ما التثموا مُردُ
ثقالٍ إذا لاقَوْا خِفافٍ إذا دُعُوا كثيرٍ إذا شَدُّوا قليلٍ إذا عُدُّوا

وكقوله:

---

(١) سورة الحاقة، الآيات من ٤ إلى ٦ .
(٢) سورة طه، الآية ٦ .
(٣) سورة المائدة، الآية ٥٤ .

ولا يقيمُ على ضَيمٍ يُرادُ بهِ إلا الأذلاَّنِ عَيرُ[١] الحيِّ والوَتِدُ
هذا على الخسفِ مربوطٌ بِرُمَّتهِ وذا يُشَجُّ فلا يَرثي له أحدُ

(١٩) الجمع مع التفريق

الجمعُ مع التّفريق: أن يَجمعَ المتكلِّم بين شَيئين في حُكم واحد، ثم يفرِّقُ بين جِهَتَيْ إدخالهما، كقوله تعالى: ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾[٢].

وكقوله:

فوجهُك كالنّارِ في ضوئها وقلبيَ كالنّارِ في حَرِّها

(٢٠) الجمع مع التقسيم

الجَمعُ مع التّقسِيم: أن يَجمعَ المُتكلِّمُ بيَن شيئين أو أكثرَ تحتَ حُكم واحد. ثم يُقسِّم ما جمع، أو يقسّم أوّلاً، ثم يجمع:

فالأوّل - نحو: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ﴾[٣].

وكقول المتنبي:

حتى أقامَ على أرباضِ خرشنَةٍ[٤] تَشْقَى به الرُّومُ والصُّلْبانُ والبِيَعُ
للرِّقِّ ما نسَلوا والقتل ما ولدوا والنَّهب ما جمعوا والنّار ما زرعوا
- سأطلبُ حَقِّي بالقَنا ومشايخٍ[٥] كأنهمو من طولِ ما التثموا مُردُ
ثقالٍ إذا لاقَوْا خِفافٍ إذا دُعُوا كثيرٍ إذا شَدُّوا قليلٍ إذا عُدُّوا

والثاني - كقول سيدِنا حسان:

قومٌ إذا حاربوا ضرُّوا عدوَّهمُ أو حاولوا النَّفعَ في أشياعِهم نفَعوا

---

(١) العير: الحمار .
(٢) سورة الأعراف، الآية ١٢ .
(٣) سورة الزمر، الآية ٤٢ .
(٤) الأرباض: جمع ربض، وهو ما حول المدينة . وخرشنة: بلد بالروم .
(٥) القنا: الرماح . والمشايخ: أصحابه، أي يطلب حقه بنفسه ومستعيناً بأصحابه المجرّبين المحنكين . ولذلك جعلهم مشايخ .

سجيّةٌ تلك فيهم غيرُ مُحْدثَةٍ إنّ الخلائقَ فاعلمْ شَرُّها البِدَعُ

(٢١) المبالغة

المُبالغَةُ: هيَ أن يَدَّعيَ المتكلِّمُ لوصفٍ، بُلوغَه في الشدّة أو الضَّعْف حدّاً مُسْتبعَداً، أو مستحيلاً. وتنحصِرُ في ثلاثةِ أنواع:

١ - تبليغ: إن كان ذلك الادِّعاءُ للوصف منَ الشدّة أو الضَّعف مُمكناً عقلاً وعادة، نحو قوله تعالى: ﴿ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾[١].

وكقوله في وصف فرس:

إذا ما سابَقَتْها الرِّيحُ فرَّتْ وألقَتْ في يدِ الرِّيحِ التُّرابا

٢ - وإغراق: إن كان الادِّعاءُ للوصف منَ الشدّة أو الضعف ممكناً عقلاً لا عادةً، كقوله:

ونُكرِمُ جارَنا ما دامَ فينا ونُتْبِعُهُ الكرامةَ حيثُ مالا

٣ - وغلوّ[٢]: إن كان الادّعاءُ للوصفِ من الشِّدَّة أو الضَّعف مستحيلاً عقلاً وعادة، كقوله:

تكادُ قِيِّتُهُ من غيرِ رامٍ تُمكِّنُ في قلوبِهِمُ النِّبالا

(٢٢) المغايرة

المُغايَرة: هي مدحُ الشيء بعد ذمِّه، أو عَكسُه، كقول الحريري في مدح الدِّينار:

أكرِمْ به أصفرَ راقَتْ صُفْرَتُهْ

بعد ذمِّه في قوله:

تَبّاً له من خادعٍ مماذِقِ

---

(١) سورة النور، الآية ٤٠ .

(٢) أما الغلوّ فمنه مقبولٌ، ومنه مردود، فالمقبولُ ثلاثة أنواع، أحدُها ما اقترنَ به ما يقربه للصحة، كفعلِ مقاربةٍ، نحو قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ [النور: ٣٥] .

(٢٣) تأكيد المدح بما يشبه الذم

تأكيدُ المدح بما يُشْبِهُ الذمَّ، نوعان:

الأوّل - أن يُسْتَثنى من صِفةِ ذَمٍّ منفية عن الشيء صِفةُ مدحٍ بتقديرِ دخولها فيها، كقوله:

ولا عيبَ فيهم غيرَ أنّ سيوفَهم ... بهنَّ فُلولٌ من قِراعِ الكتائبِ[1]

الثاني - أن يُثبَتَ لشيءٍ صفةُ مدحٍ، ثم يُؤْتى بعدها بأداة استثناء[2] تليها صفةُ مدح أخرى. والنوع الأول أبلغ، كقوله:

---

(١) أي إن كان تكسُّر حدِّ سيوفهم من مقارعةِ الجيوش عيباً فلا عيبَ فيهم غيرَه. ومن المعلومِ أنّه ليس بعيبٍ. وكقول الآخر:

لا عيبَ فيهم سِوى أنّ النزيلَ بِهِمْ ... يَسْلو عن الأهلِ والأوطانِ والحشَمِ

وقوله:

ولا عيبَ فيه غيرَ أنّ حدودَهُ ... بهنّ احمرارٌ مِن عيونِ المتيَّمِ

وقوله:

ليس بهِ عيبٌ سِوى أنه ... لا تقعُ العينُ على شِبهِهِ

وقوله:

ولا عيبَ في معروفِهم غيرَ أنه ... يُبينُ عجزَ الشاكرين عن الشكرِ

وقوله:

ولا عيبَ فيكم غيرَ أنّ ضيوفَكم ... تعابُ بنسيانِ الأحبةِ والوطنْ

(٢) أو أداة فرض نحو قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١].

ومنه، ما تضمّنَ حسنَ تخييل، كقول المتنبي:

عقَدَتْ سَنابكُها عليها عِثْيَراً ... لو تَبْتغي عنَقاً عليهِ لأمْكنا[1]

وقول المعري:

يذيبُ الرعبُ منه كلَّ عَضْبٍ ... فلولا الغمدُ يُمْسِكُهُ لسالا

ومنه ما أخرجَ مخرجَ الهزل والخلاعة، كقول النظام:

توهَّمَهُ طرفي فآلَمَ طرفَهُ ... فصارَ مكانَ الوهمِ في خدِّه أثرُ

ومَرَّ بفكري خاطراً فجرحتْهُ ... ولم أرَ خَلقاً قطُّ يجرحُه الفِكْرُ

وقول الآخر: =

---

(١) السنابك: جمع سنبك وهو طرفُ مقدَّم الحافر. والعثير: الغبار. والعنق: ضرب من السير سريع فسيح الخطو. يقول: إنَّ حوافرَ هذه الخيل عقدتْ فوقَها غباراً كثيفاً، حتى لو أرادتِ السيرَ عليه لكان يحمِلُها كالأرضِ لشدة كثافته.

ولا عيبَ فيهِ غيرَ أني قصدتُهُ فأنْسَتْنيَ الأيامُ أهلاً ومَوطنا

وكقوله:

فتًى كملتْ أوصافُه، غيرَ أنه جَوادٌ فما يُبقي منَ المال باقيا

وقد تقوم «لكنْ» مقام أداة الاستثناء في هذا النوع.

(٢٤) تأكيد الذم بما يشبه المدح[1]

تأكيدُ الذّم بما يُشبه المدح، ضربان أيضاً:

الأوّل - أن يُستثنى من صفةِ مدحٍ منفيةٍ عن الشيء، صِفةُ ذمٍّ بتقدير دخولها فيها، كقوله:

خَلا منَ الفضلِ غيرَ أنّي أراهُ في الحُمْقِ لا يُجارَى

ونحو: لا فضلَ للقوم إلا أنّهم لا يعرفونَ للجارِ حقَّه.

ونحو: الجاهلُ عدوُّ نفسهِ إلا أنه صديقُ السُّفهاء.

ونحو: فلانٌ ليس أهلاً للمعروف، إلا أنّه يُسيء إلى مَن يحسنُ إليه.

الثاني - أن يُثْبَتَ لشيءٍ صِفةُ ذَمّ، ثم يُؤتى بعدَها بأداةِ استثناء[2] تليها صفةُ ذمٍّ أخرى، نحو: فلانٌ حسودٌ إلا أنّه نمّام، وكقوله:

هو الكلبُ إلا أنّ فيه ملالةً وسُوءَ مُراعاةٍ وما ذاكَ في الكلبِ

وكقوله:

= لكَ أنفٌ يابنَ حربٍ أنِفَتْ منهُ الأنوفُ
أنتَ في القدسِ تُصَلي وهو في البيتِ يَطوفُ

(١) وهناك نوع آخر يسمى «الهجاء في معرضِ المدح» وهو أن يُؤتَى بكلامٍ ظاهرُه مدح، وباطنُه ذم، كقوله:

أبو جعفرٍ رجلٌ عالمٌ بما يُصلحُ المعدةَ الفاسدَهْ
تخوَّفَ تخمةَ أضيافِهِ فعوَّدهم أكلةً واحدهْ

(٢) ومثلُ أداة الاستثناء في ذلك أداةُ الاستدراك في قول الشاعر:

وجوه كأزهار الرياض نضارة ولكنها يوم الهِياج صُخور

وكقوله:

هو البدرُ إلا أنه البحرُ زاخراً سوى أنه الضرغامُ لكنه الوَبْلُ

أدرك أهلُ البيان (التدبيج) في الطباق، وأفرده أهلُ البديع، وهو الأَوْلى، لجواز ألا يقعَ التقابل بين الألوان، فيفوت (الطباق).

لئيمُ الطباعِ سِوَى أنه جَبَانٌ يهون عليه الهَوان

(٢٥) التوجيه

التّوجيه: هو أن يؤتَى بكلام يحتمل مَعنَيين مُتضادَّين على السواء كهجاء، ومديح، ودعاء للمخاطب، أم دعاء عليه، ليبلِّغَ القائلُ غرضَه بما لا يُمسَك عليه، كقول بشّارٍ في خيّاطٍ أعورَ (اسمه عمرو):

خَاط لي عَمرُو قَبَاءَ ليتَ عَيْنَيْه سَوَاءَ

فإنّ دعاءه لا يُعلم، هل له أم عليه. وقوله:

كلّما لاحَ وَجْهُهُ بمكانٍ كثرتْ زَحْمةُ العُيونِ إلى رؤيَتهِ

ويُحكى أنّ محمدَ بنَ حَزم هنّأ الحسَن بنَ سهل باتصالِ بنتهِ «بوران» التي تُنسب إليها الأطبِخَة البُورانية بالخليفةِ المأمونِ العباسي مع من هنّأه، فأثابَهم، وحرَمه، فكتب إليه: إنْ أنتَ تماديتَ على حرماني، قلتُ فيك بيتاً لا يُعرفُ أهوَ مدحٌ أم ذمّ، فاستحضرَه وسأله، فأقرّ. فقال الحسنُ: لا أعطيك أو تفعلَ، فقال:

باركَ اللهُ للحسَنْ ولِبُورانَ في الخَتَنْ

يا إمامَ الهدى ظَفِرْ تَ ولكنْ ببنتِ مَنْ؟

فلم يدرِ ببنتِ مَنْ؟ أفي العظمة وعُلوِّ الشأن ورفعةِ المنزلة؟ أم في الدناءة والخِسّة؟ فاستحسنَ الحسنُ منه ذلك.

والخلاصةُ أنّ التوجيه نوعان:

الأول: أن يكونَ الكلامُ بحيثُ يَصلحُ لأنْ يُرادَ به مَعنَيانِ متضادّانِ على السّواء.

والثاني: أن يكون الكلامُ بحيثُ يشتملُ على مجموعةٍ، أو مجموعات من مصطلحاتِ العلوم، أو الفنون، أو الأسماء المتلائمة.

الفرقُ بين التورية والتوجيه

أ - التوريةُ: تكونُ في لفظٍ واحد. وأمّا التَّوجيه: فيكونُ في تركيبٍ، أو جملةِ أسماءَ متلائمة.

ب - التّورية: يقصدُ المتكلّمُ بها معنًى واحداً، هو البعيد. والنوعُ الأول من التوجيه لا يترجَّحُ فيه أحدُ المعنيين على الآخر.

ج - لفظُ التورية له معنيان بأصلِ الوضع. وألفاظُ النوع الثاني من التوجيه ليس لها إلا معنى واحد بأصل الوضعِ، ويكونُ هو المقصود من الكلام.

(٢٦) نفيِ الشيء بإيجابه

نَفْيُ الشّيءِ بإيجابه: هو أن يُنفى متعلّقُ أمرٍ عَنْ أمرٍ، فيوهَمُ إثباتُه له، والمرادُ نفيُه عنه أيضاً، نحو قوله تعالى: ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[1][2]. فإنّ إلهاء التجارة عنهم، يُوهم إثباتَها لهم، والمرادُ نفيها أيضاً.

(٢٧) القول بالموجَب

القولُ بالموجَب نوعان:

الأول: أن يقعَ في كلام الغيرِ إثباتُ صفةٍ لشيءٍ وترتيب حكم عليها، فينقلُ السامعُ تلك الصِّفةَ إلَى غيرِ ذلك الشي من غيرِ تعرض لثبوت ذلك الحُكم له أو انتفائه عنه، كقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[3][4] فالمنافقون أرادوا بالأعزِّ أنفسَهم، وبالأذل المؤمنين، ورتّبوا على ذلك الإخراجَ من المدينة، فنُقلت صفةُ العزّة للمُؤمنين، وأُبقيَتْ صفةُ الأذليّة للمنافقين من غيرِ تعرُّض لثبوتِ حكم الإخراج للمتّصفين بصفةِ العزّة، ولا لنفيهِ عنهم.

---

(١) مقتطع من الآية التي مرّت في مبحثِ ترك المسند، حيث يقول: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ فإن قوله: ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ﴾ يوهم أن لهم تجارةً، غير أنهم لا يَلتهون بها . ولكن المرادَ أنهم ليس لهم تجارة حتى يَلتهوا بها، لأن رجالَ الجنة لا يتعاطون التجارة .

(٢) سورة النور، الآية ٣٧ .

(٣) تلخيص العبارة أنّ الكافرين حكموا لأنفسهم بالعزة، وللمؤمنين بالذلة، وقالوا: إن رجعنا إلى المدينة نخرجُهُم منها، فحُكم بالعزة لله، ولرسوله، والمؤمنين . ولم يقل: إنّهم يُخرجون أولئك منها، ولا أنهم لا يخرجونهم .

(٤) سورة المنافقون، الآية ٨ .

والثاني: حَمْلُ لفظٍ وقَع في كلامِ الغيرِ على خلافِ مُرادِه بذكرِ متعلِّقٍ له، كقوله:

وقالوا: قد صَفَتْ مِنّا قلوبٌ لقد صَدَقوا ولكنْ عن وِدادي

أرادَ بصَفوِ قلوبهم (الخلوصَ)، فحَمَلهُ على الخلوِّ بذكرِ متعلِّقِهِ، وهو قولُه: (عن وِدادي).

(٢٨) ائتلاف اللفظِ مع المعنى

ائتلافُ اللّفظِ مع المعنى: هو أن تكونَ الألفاظُ موافقةً للمعاني، فتُختارُ الألفاظُ الجَزلةُ، والعباراتُ الشّديدة للفخر والحماسة، وتُختارُ الكلماتُ الرّقيقة، والعباراتُ اللّينة، للغزَل والمدح، كقوله:

إذا ما غَضِبنا غَضْبةً مُضَريّةً هتكنا حجابَ الشمس أو قَطَرتْ دَما

إذا ما أعَرْنا سيّداً من قبيلةٍ ذُرا مِنبرٍ صَلّى علينا وسَلّما

وكقوله:

ولسْتُ بنَظّارٍ إلى جانبِ الغِنى إذا كانتِ العلياءُ في جانبِ الفَقرِ

وكقوله:

لم يَطُلْ ليلي ولكنْ لم أَنَمْ ونفَى عنّي الكَرى طيفٌ ألَمّ

(٢٩) التفريع

التّفريعُ: هو أن يُثبَتَ حكمٌ لِمتعلَّق أمرٍ، بعدَ إثباته لمتعلَّقٍ له آخر كقول الشاعر:

فاضَتْ يَداه بالنُّضَار كما فاضت ظُباهُ في الوغى بدَمي

وكقوله:

أحلامُكم لسقامِ الجهلِ شافيةٌ كما دماؤكُمُ تَشفي منَ الكَلَبِ

(٣٠) الاستتباع

الاستتباع: هو الوصفُ بشيء على وجهٍ يَسْتتبعُ الوصفَ بشيءٍ آخرَ،

مدحاً أو ذمّاً. يعني أنّ الاستتباعَ هو المدحُ على وجهٍ يستتبعُ المدحَ بأمر آخر، كقوله:

ألا أيُّها المالُ الذي قد أبادَهُ تَسلَّ فهذا فعلُه بالكتائبِ

وكقوله:

سمح البديهة ليس يمسكُ لفظَهُ فكأنّ ألفاظَهُ مِن مالِهِ

وكقوله:

الحربُ نُزهتُه والبَأسُ هِمّته والسّيف عَزمتُه واللهُ ناصرُه

وقيل: إنه يكونُ أيضاً في الذّم، كقول بعضِهم في قاضٍ لم يقبلْ شهادتَه برؤيته هلال الفطر:

أتُرَى القاضيَ أعمَى أم تُراهُ يَتَعامى؟
سَرقَ العِيدَ كأنّ العيدَ أموالُ اليتامَى

(٣١) السلب والإيجاب[1]

السَّلب والإيجاب: هو أن يَقصِدَ المتكلِّمُ تخصيصَ شيءٍ بصفةٍ فينفيها عن جميع الناس، ثم يُثبتها له مدحاً أو ذمّاً. فالمدحُ كقول الخنساء:

فما بلَغتْ كفُّ امرئٍ متناولاً منَ المجدِ إلا والذي نِلتَ أطولُ
ولا بلغَ المُهدونَ للناس مِدحةً وإن أطنبُوا إلا الذي فيك أفضلُ

والذّمُّ كقول بعضهم:

خُلقوا وما خُلِقوا لمكرُمةٍ فكأنّهم خُلِقوا وما خُلِقوا
رُزِقوا وما رُزِقوا سماحَ يدٍ فكأنّهم رُزِقوا وما رُزِقوا

(٣٢) الإبداع

الإبداعُ: هو أن يكونَ الكلامُ مشتملاً على عِدّة أنواعٍ من البديع، كقول الشاعر:

---

(١) ويسمى الرجوع: وهو العودُ على الكلام السابق بالنقضِ لنكتة، كقول زهير:

قِفْ بالديارِ التي لم يَعْفُها القِدَمُ بلى، وغيّرها الأرواحُ والدِّيَمُ

وكقوله:

وما ضاعَ شِعري عندكُمْ حينَ قلتُه بلى وأبيكُمْ ضاعَ فهوَ يَضوعُ

فضَحْتَ الحَيا والبحر جوداً فقد بكى الـ حَيا من حياءٍ منك والتطَمَ البحْرُ[١]

---

(١) فإن فيه حسنَ التعليل في قوله: (بكى الحيا من الحياءِ منك) . وفيه التقسيم: في قوله: (فضحتَ الحيا والبحر)، حيثُ أرجعَ ما لكلٍّ إليه على التعيين بقوله: بكَى الحيا، والتطَم البحر . وفيه المبالغةُ في جعلِه بكاءَ الحيا والتطامَ البحر حياءً من الممدوح . وفيه الجمع في قوله: (فضحتَ الحيا والبحر) . وفيه ردُّ العجز على الصدر في ذكرِ البحر والبحر . وفيه الجناسُ التامّ بين الحيا والحياء . وللقرآن الكريم اليدُ البيضاءُ في هذا النوع فقد وجد اثنان وعشرون نوعاً في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [هود: ٤٤]، مع كون الآية سبعَ عشرةَ لفظةً . ولا بدّ لي من ذكرِها، تبرُّكاً بها، وإلجاماً لبعض المعاصرين الذين يتفوَّهون بما لا يليق ذكره بالنسبة لكلام ربِّ العالمين:

١ – ففيها المناسبةُ التامةُ بينَ ابلعي وأقلعي .

٢ – الاستعارة فيهما .

٣ – الطباق بين الأرض والسماء .

٤ – المجاز في قوله: (يا سماء) فإنّ الحقيقة يا مطر .

٥ – الإشارة في: ﴿وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ﴾ فإنه عبّرَ به عن معانٍ كثيرة، فإن الماء لا يغيضُ حتى يقلعَ مطرُ السماء، وتبلعَ الأرضُ ما يخرجُ منها من عيون الماء .

٦ – الإرداف في قوله: ﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ﴾ فإنه عبّر عن استقرارها في المكان بلفظٍ قريب من لفظ المعنى .

٧ – التمثيل في قوله: ﴿وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ فإنه عبّر عن هلاكِ الهالكين ونجاة الناجين بلفظٍ بعيد عن الموضوع .

٨ – التعليل: فإن غيض الماء علّة الاستواء .

٩ – التقسيم: فإنه استوفى أقسامَ الماء حالَ نقصه .

١٠ – الاحتراس في قوله: ﴿وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ إذِ الدعاءُ يُشعر بأنهم مستحقو الهلاك، احتراساً من ضعيفٍ يتوهَّمُ أن الغرقَ لعمومهِ ربما يشملُ غيرَ المستحقّ .

١١ – الانسجام: فإنه الآية منسجمةٌ كالماء الجاري في سلاسته .

١٢ – حسنُ التنسيق: فإنه تعالى قصَّ القصةَ وعطفَ بعضَها على بعضٍ بحسن الترتيب .

١٣ – ائتلافُ اللفظ مع المعنى، لأنّ كلّ لفظةٍ لا يصلحُ لمعناها غيرها .

١٤ – الإيجاز: فإنه سبحانه وتعالى أمرَ فيها ونهى، وأخبر ونادى، ونعت وسمى، وأهلَك وأبقى، وأسعد وأشقى، وقصّ من الأنباء ما لو شُرح لجفّت الأقلام .

١٥ – التسهيم: إذ أولُ الآية يدلُّ على آخرها .

١٦ – التهذيب: لأن مفرداتِها موصوفةٌ بصفات الحسن، لأنّ كلَّ لفظةٍ سهلةُ مخارج الحروف عليها رونقُ الفصاحة، سليمةٌ من التنافر، بعيدةٌ عن عقادةِ التراكيب .

١٧ – حسنُ البيان، لأن السامعَ لا يشكلُ عليه في فهم معانيها شيء .

١٨ – الاعتراضُ، وهو قوله: ﴿وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ﴾ . =

(٣٣) الأسلوب الحكيم

أسْلوبُ الحكيم: هو تلقِّي المخاطَبِ بغيرِ ما يترقّبُه:

١ - إمّا بتركِ سُؤالِهِ، والإجابة عن سؤال لم يُسأله.

٢ - وإمّا بحملِ كلامِ المتكلّم على غيرِ ما كان يَقصِدُ ويُريدُ، تَنبيهاً على أنه كان يَنْبغي له أن يسألَ هذا السؤال، أو يقصدَ هذا المعنى.

فمثال الأول: ما فعله القَبَعثَريُّ بالحجّاج، إذ قال له الحجّاج مُتوعِّداً: «لأحملنّك على الأدهم» يريد الحجاجُ القيدَ الحديدَ الأسود. فقال القَبَعثَريُّ: «مِثْلُ الأمير يحمل على الأدهم والأشهب» يعني الفرس الأسود، والفرس الأبيض. فقال له الحجاج: أردتُ الحديدَ. فال القَبعثري: لأنْ يكونَ حديداً خيرٌ من أنْ يكونَ بليداً. ومُرادُه تَخْطِئةُ الحجاج بأنّ الأليقَ به الوعدُ لا الوعيدُ[1].

= ١٩ - الكناية، فإنه لم يصرِّحْ بمن أغاضَ الماء، ولا بمن قضى الأمر، وسوّى السفينة، ولا بمن قال: «وقيل بعداً»، كما لم يصرحْ بقائل: «يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي» في صدر الآية سلوكاً في كلٍّ واحد من ذلك سبيل الكناية.

٢٠ - التعريض، فإنه تعالى عرَّض بسالكي مسالكهم في تكذيب الرسل ظلماً، وأن الطوفان وتلك الصورة الهائلة ما كانت إلا بظلمهم.

٢١ - التمكين، لأن الفاصلة قارّةٌ متمكنة في موضعها.

٢٢ - الإبداع الذي نحن بصددِ الاستشهادِ له، وفيها غيرُ ذلك.

وقد أُفردت هذه الآية الشريفة بتآليفَ عديدةٍ لما اشتملت عليه من البلاغة، حتى عَدَّ بعضُهم فيها مائة وخمسين نوعاً. وقد أجمعَ المعاندون على أن طوقَ البشر عاجزٌ عن الإتيان بمثلها.

(١) سببُ ذلك أن الحجاجَ بلغه أن القبعثريَّ لما ذُكر الحجاجُ بينه وبين أصحابه في بستان، قال: اللهم سوِّد وجهَه، واقطَعْ عنقه، واسْقِني من دمه. فوشيَ به إلى الحجاج. فلما مثَل بين يديه، وسأله عن ذلك. قال: إنما أردتُ العنب. فقال له الحجاج ما ذكر.

ومثل ذلك قول الشاعر:

ولقد أتيتُ لصاحبي وسألتُه ... في قرضِ دينارٍ لأمر كانا

فأجابني: واللهِ داري ما حَوَتْ ... عيناً فقلتُ له: ولا إنسانا(١)

وسئل تاجرٌ: كم رأسُ مالك؟ فقال: إني أمينٌ، وثقةُ الناس بي عظيمةٌ. =

---

(١) العين: من معانيها المال، وهي في الأصل: الباصرة. الإنسان: قد يُراد به إنسان العين (البؤبؤ) وقد يراد به أحد بني آدم.

ومثالُ الثاني قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾(١).

سألوا النبيَّ عليه الصلاة والسلام عن حقيقةِ ما يُنفقون مالَهُم، فأجيبوا ببيانِ طُرُقِ إنفاقِ المال، تنبيهاً على أنّ هذا هو الأَوْلى والأجدرُ بالسؤال عنه. وقال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾(٢)(٣).

وقال ابن حجّاج البغدادي:

قُلتُ: ثقّلْتُ، إذْ أتَيتُ مِراراً ... قالَ: ثقّلتَ كاهِلي بالأيادي
قلتُ: طَوّلْتُ، قال: أوْليتَ طَوْلاً ... قلتُ: أبرمْتُ، قال: حبلَ وِدادي(٤)

فصاحبُ ابنِ حجّاج، يقول له: قد ثقّلتُ عليك بكثرةِ زياراتي، فيصرفه عن رأيهِ في أدبٍ وظرْفٍ، وينقلُ كلامَه من معنًى إلى معنًى آخر. وكقول الشاعر:

ولَمّا نعى النّاعي سألناه خَشْيةً ... وللعينِ خوفُ البَيْنِ تَسْكابُ أمطارِ
أجابَ: قضى، قلنا: قضى(٥) حاجةَ العُلا ... فقال: مَضَى، قلنا: بكلٍّ فَخارِ(٦)

= وقال الشاعر:

طلبتُ منه درهماً ... يوماً فأظهرَ العَجَبْ
وقالَ: ذا من فضةٍ ... يُصنَعُ لا مِنَ الذّهَبْ

وسئل أحد العمّال: ماذا ادّخرتَ من المال؟ فقال: لا شيء يُعادل الصحّة.

(١) سورة البقرة، الآية ٢١٥.

(٢) بيان ذلك أنّ أصحاب رسول الله ﷺ سألوه عن الأهلة: لِمَ تبدو صغيرةً، ثم تزدادُ حتى يتكاملَ نورها؟ ثم تتضاءلُ حتى لا تُرى؟ وهذه مسألةٌ دقيقة من علم الفلك تحتاجُ إلى فلسفة عاليةٍ وثقافةٍ عامة. فصرفَهم عنها ببيانِ أنّ الأهلةَ وسائلُ للتوقيت في المعاملات، والعبادات. إشارةً إلى أن الأولى بهم أن يسألوا عن هذا.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٨٩.

(٤) فقد وقع لفظ «ثقلت» في كلام المتكلم بمعنى «حملتك المؤونة». فحمله المخاطب على الإكثار من المنن والأيادي، و«أبرمت» وقع في كلامه بمعنى «أمللت»، فحمله المخاطبُ على إبرام حبل الوداد وإحكامه، وليس في «طولت» الأولى التي هي من طول الإقامة، و«تطولتُ» من التطول وهو التفضل شاهد.

(٥) مات.

(٦) حاز كل فخار ومكرمة.

ويُحكى أنه لما توجّه خالدُ بنُ الوليد لفتح الحيرة، أتى عليه مِنْ قِبَلِ أهلها رجلٌ ذو تجربة، فقال له خالد: فيمَ أنتَ؟ قال: في ثيابي. فقال: عَلامَ أنتَ؟ فأجابَ: على الأرض. فقال: كم سِنُّك؟ قال: اثنتان وثلاثون. فقال: أسألُك عَنْ شيء، وتجيبني بغيره. فقال: إنّما أجبتك عمّا سألت.

(٣٤) تشابه الأطراف

تَشابُه الأطراف: قسمان، معنوي ولفظي.

فالمعنوي: هو أن يَخْتمَ المتكلمُ كلامَه بما يناسبُ ابتداءَه في المعنى كقوله:

ألذُّ من السِّحرِ الحلالِ حديثُهُ وأعذَبُ من ماءِ الغَمامةِ ريقُهُ

فالريقُ يناسبُ اللّذّة في أول البيت.

واللفظي نوعان:

الأول: أن ينظرَ الناظمُ أو الناثر إلى لفظةٍ وقعتْ في آخرِ المِصراع الأول أو الجملة، فيبدأ بها المِصراعَ الثاني، أو الجملة التّالية، كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾[1]، وكقول أبي تمام:

هَوًى كان خَلْساً إنّ من أبردِ الهوى هوًى جُلْتَ في أفيائهِ وهْوَ خاملُ

الثاني: أن يعيدَ الناظم لفظةَ القافية من كلِّ بيتٍ في أولِ البيتِ الذي يليه، كقوله:

رَمَتْني وسِترُ الله بيني وبينها عَشِيّةَ آرامِ الكِناسِ رَميمُ
رميمُ التي قالتْ لجيرانِ بيتها: ضمنتُ لكم ألا يزالَ يهيم

وكقوله:

إذا نزل الحجاجُ أرضاً مريضةً تتَبَّعَ أقصى دائها فشَفاها
شفاها منَ الدّاءِ العُضال الذي بها غلامٌ إذا هزّ القَناةَ سَقاها
سَقاها فروّاها بشربِ سِجالها دماءَ رجالٍ حيثُ مالَ حشاها

(١) سورة النور، الآية ٣٥ .

(٣٥) العكس

العَكسُ: هو أن تُقدِّمَ في الكلام جُزءاً ثم تَعْكسُ، بأنْ تُقدِّمَ ما أخّرْتَ، وتُؤخِّرَ ما قدّمتَ. ويأتي على أنواع:

أ - أن يقعَ العكسُ بينَ أحدِ طرفي جملة، وما أضيفَ إليه ذلك الطرفُ، نحو: «كلامُ الملوك ملوكُ الكلام»، وكقول المتنبي:

إذا مطرتْ منهُمْ ومنكَ سَحابةٌ فوابلُهم[١] طلٌّ[٢] وطَلُّكَ وابلُ

ب - أن يقعَ العكسُ بين متعلّقي فعلين في جملتين، كقوله تعالى: ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾[٣].

ج - أن يقعَ العكسُ بين لفظين في طرفي الجملتين، كقوله تعالى: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾[٤].

د - أن يقعَ العكسُ بينَ طرفي الجملتين. كقول الشاعر:

طَوَيْتُ بإحرازِ الفنونِ ونَيْلها رداءَ شبابٍ والجنونُ فُنونُ
فحينَ تَعاطيتُ الفنونَ وحظَّها تبيّن لي أنّ الفنونَ جُنونُ

هـ - أن يكونَ العكسُ بترديدِ مِصراع البيت معكوساً، كقول الشاعر:

إنّ للوجدِ في فؤادي تراكُمُ ليتَ عيني قبلَ الممات تَراكُمُ
في هواكُمْ يا سادتي مِتُّ وَجْداً مِتُّ وَجْداً يا سادتي في هَواكُمُ

(٣٦) تجاهلُ العارف

تَجاهلُ العارف: هو سُؤالُ المتكلم عمّا يعلمُه حقيقة، تجاهُلاً منه لنُكتةٍ، كالتّوبيخ، في قوله:

أيا شجرَ الخابورِ مالكَ مُورقاً؟ كأنّك لم تَجزَعْ على ابنِ طريفِ!

أو المُبالغة في المدح، كقول البُحتُري:

---

(١) الوابل: المطر الغزير .
(٢) الطل: المطر الخفيف .
(٣) سورة آل عمران، الآية ٢٧ .
(٤) سورة الممتحنة، الآية ١٠ .

أَلَمعُ برقٍ سَرى أم ضَوءُ مصباحِ؟ أمِ ابتسامتُها بالمَنْظرِ الضاحي؟

أو المبالغة في الذمّ، كقول زُهيْر:

وما أَدري وسوفَ إخالُ أدري أقومٌ آلُ حِصنٍ أم نِساءُ؟

أو التعجُّب، نحو: ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾﴾[١].

إلى غير ذلك من الأغراض البديعية التي لا تُحصى.

تمرين

بيّن الأنواعَ البديعيّة فيما يأتي:

- قال بعضُهم في وصف إبل:

صلبُ العَصا بالضَّرْب قد أدماها تودُّ أنّ اللهَ قدْ أفْناها[٢]

- وقيلَ في وصف إبلٍ هَزيلة:

كالقِسيِّ المُعَطَّفاتِ بلِ الأسـ ـهُمِ مَبريّةً بلِ الأوتارِ[٣]

-- وللغزالةِ شيءٌ مِن تَلَفُّتِهِ ونُورُها منْ ضِيا خَدَّيهِ مُكْتَسَب[٤]

-- أفنى جُيوشَ العِدا غَزْواً فلستَ ترى سِوى قَتيلٍ ومأسورٍ ومُنْهزِم[٥]

-- ولا عيبَ فيهم غيرَ أنّ ذوي النّدى خِساسٌ إذا قِيسوا بهم ولئامُ[٦]

-- على رأسِ عَبدٍ تاجُ عِزٍّ يَزينُهُ وفي رِجْلِ حُرٍّ قَيْدُ ذُلٍّ يَشينُهُ[٧]

-- إذا لم تَفِضْ عَيني العقيقَ فلا رأتْ منازلَه بالقُرْبِ تَبْهى وتبهرُ[٨]

---

(١) سورة الطور، الآية ١٥ .

(٢) الضرب: لفظٌ مشترك بين الضرب بالعصا وهو المعنى القريب الذي لم يقصد، والسيرِ في الأرض، وهو المعنى البعيد المقصودُ والمرادُ بالتورية .

(٣) فيه مراعاةُ النظير، إذ وصف البحتري الإبلَ بالنحول، فشبهها بأشياء متناسبة وهي القِسيّ، والأسهم المبرية، والأوتار .

(٤) فيه استخدام، إذ أراد بالغزالة الحيوانَ المعروف، وبضمير (نورها) الغزالة بمعنى الشمس .

(٥) فيه تقسيم، إذ هو استوفى جميعَ أقسام جيش العدو، بحصرها في الأقسام الثلاثة .

(٦) فيه تأكيد المدح بما يشبه الذم، فإنه استثنى من صفة ذم منفية صفةَ مدح .

(٧) فيه مقابَلةٌ بين ستة وستة، فقد قابل بين على وفي، رأس ورِجل، حرّ وعبد، تاج وقيد، عز وذل، يزين ويشين .

(٨) فيه استخدام، إذ العقيقُ هنا الدمُ الشبيهُ بالعقيق في الحمرة . والضمير في (منازله) يعود إليه باعتباره الوادي المعروفَ بظاهر المدينة ببلاد الحجاز .

تمرين آخر

- فلا الجودُ يُفْني المالَ والجَدُّ مُقبلٌ ولا البُخلُ يُبقي المالَ والجدُّ مُدبر[١]
- رَحِمَ اللهُ من تَصدَّق منْ فضلٍ أو آسى من كَفافٍ، أو آثرَ من قُوتِ[٢]
- رأى العقيقَ فأجرَى ذاك ناظرُه مُتيمٌ لَجَّ في الأشواقِ خاطرُهُ[٣]
- آراؤكم ووُجوهُكم وسُيوفكم في الحادثاتِ إذا دَجَوْنَ نُجومُ[٤]
- ما زُلْزِلَتْ مصرُ من كيدٍ ألَمّ بها لكنّها رَقصتْ مِنْ عدلكم طرَبا[٥]
- أُراعي النّجمَ في سَيري إليكم ويَرْعاهُ من البيدا جَوادي[٦]
- جاءني ابنيَ يوماً وكنتُ أراهُ ليَ رَيْحانةً ومَصْدَرَ أُنسي

قال: ما الرُّوحُ؟ قلت: إنك رُوحي قال: ما النَّفس؟ قلتُ: إنّك نَفْسي

تطبيق عام على البديع المعنوي

- يا سيداً حازَ لطفاً له البرايا عبيدُ
أنتَ الحسينُ ولكنْ جفاكَ فينا يزيدُ

في هذا الكلام توريةٌ مهيّأةٌ بلفظٍ قبلها، فإنّ ذكر «الحسين» لازم لكونِ «يزيد» اسماً بعدَ احتمالِ الفعل المضارع المورّى عنه.

- حَماةُ في بهجتها جَنّة وهي من الغمِّ جُنّة
لا تيأسوا من رحمة الله فقد رأيتُمُ العاصيَ في الجَنّة

في هذا الكلام توريةٌ مرشحة، فإنّ ذكرَ الرحمة ترشيحٌ للفظِ «العاصي»

---

(١) فيه مقابلة بين الجود والبخل، يفنى ويبقى، مقبل ومدبر .

(٢) فيه تقسيم باستيفاء أقسام الشيء، لأنّ طبقاتِ الناس هذه الثلاثة ليس غير .

(٣) فيه استخدام، فالعقيق أولاً معناه المكان المعلوم في بلادِ الحجاز، والضميرُ يعودُ إليه بمعنى الحجر المعروف، وقد شبّه دموعه به .

(٤) فيه الجمع، فقد جمعَ بين ثلاثة أشياء في حكم واحد .

(٥) فيه حسن التعليل، فقد جعلَ علةَ زلزال مصر طرباً من عدل الممدوح لا لمكروه نزل بها . وهي لا شكّ غير العلة التي تعارفها الناسُ فيما بينهم .

(٦) فيه استخدام، إذ النجمُ الأول الكوكب . وأعاد عليه الضمير بمعنى النبات الذي لا ساقَ له.

المورَّى بهِ الذي هو منَ العصيان، والمورّى عنه النهرُ المعروف الذي عبَر حماة.

- فإنْ ضَيّعتُ فيه جميعَ مالي فكَمْ مِن لحيةٍ حُلقَت بموسى

فيه التوريةُ المرشحة بذكرِ اللحية والحلق، وهما يُناسبان المورّى به وهو «موسى الحديد» والمورّى عنه الاسم المذكور.

- يا عذولي في مغنٍّ مُطربٍ حَرَّكَ الأوتارَ لَمّا سَفَرا
لم تَهُزَّ العِطْفَ منه طرباً عندَما تسمعُ منه وَتَرا

فيه تورية في لفظ «وترا» فإنّ معناه البعيد المرادُ هو الرؤية، والقريبُ أحدُ الأوتار. ولفظ «تسمع» هيّأ قوله: «وترا» للتّورية بالرُّؤية.

- سألتُه عن قومهِ فانْثَنى يعجبُ من إفراط دمعيَ السَّخيّ
وأبصرَ الكَ وبدرَ الدُّجى فقال: ذا خالي وهذا أخي

فيه تورية في لفظ «خالي» فمعناه البعيدُ المراد النقطة السوداء في الخدّ. والقريب أخو الأم. ولفظة «أخي» هي التي هيّأت خالي للتورية، وهي بعيدة.

- وساقيةٍ تدورُ على النّدامى وتنهرُهم لسرعةِ شربِ خمرِ
سَنَشْكرُ يومَ لهوٍ قد تقَضَّى بساقيةٍ تقابلنا بنهرِ

«الساقية»: امرأة تسقي الراح، وهذا المعنى القريب، أو ساقية الماء وهو المعنى البعيد. وكل منهما مذكورٌ للتورية في صاحبه، ومُهيِّئ لها فيه.

* * *

الباب الثاني

في المحسنات اللفظية

(١) الجناس[١]

الجناس: هو تَشابُهُ لفظين في النُّطق، واختلافُهما في المعنى. وهو ينقسمُ إلى نوعين: لفظيٌّ، ومعنويٌّ.

(١) ويقال له: التجنيس، التجانُس، والمجانسة. ولا يُستحسَنُ إلا إذا ساعدَ اللفظُ المعنى، ووازى مصنوعُه مطبوعَه، مع مراعاة النظير، وتمكُّن القرائن. فينبغي أن ترسَلَ المعاني على سَجيتها لتكتسيَ من الألفاظ ما يزينها، حتى لا يكونَ التكلفُ في الجناس مع مراعاة الالتئام. وقعا في قولِ مَن قال:

طبعُ المجنَّسِ فيهِ نوعُ قيادةٍ ... أوَ ما ترى تأليفَه للأحرفِ؟

وبملاحظة ما قدّمنا يكون فيه استدعاءٌ لميل السامع والإصغاء إليه، لأن النفس تستحسنُ المكرر مع اختلافِ معناه، ويأخذُها نوعٌ من الاستغراب.

وتلخيصُ القول في الجناس أنه نوعان: تام، وغير تام. فالتامُّ، هو ما اتفقَ فيه اللفظان المتجانسان في أمور أربعة: نوع الحروف، وشكلها من الهيئة الحاصلة من الحركات والسكنات، وعددها، وترتيبها. وغير التام: وهو ما اختلفَ فيه اللفظانِ في واحدٍ من الأمور الأربعة المتقدمة، كقول الله تعالى: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾ [القيامة: ٢٩ - ٣٠]، وكقول الشاعر:

وسميته يحيى ليحيا فلم يكن ... إلى ردّ أمر الله فيه سبيل

وكقوله:

أشكو وأشكرُ فِعْلَهُ ... فاعجبْ لشاكٍ منهُ شاكرْ

طَرفي وطرف النجم فيـ ... ـهِ كلاهُما ساهٍ وساهرْ

وكقول ابن الفارض:

هَلا نَهاكَ نُهاكَ عن لومِ امرئٍ ... لم يُلْفَ غيرَ منعَّمٍ بشقاءِ

وكقوله:

لو زارنا طيف ذات الخال أحيانا ... ونحنُ في حُفَرِ الأجداثِ أحيانا

وقولِ الخنساء:

إنّ البكاءَ هوَ الشفا ... ءُ منَ الجَوى بينَ الجوانِحْ

وقولِ المعري:

لم نلقَ غيرَك إنساناً يُلاذُ به ... فلا بَرِحْتَ لعينِ الدّهرِ إنسانا

وقول الحريري: «لا أُعطي زِمامي من يُخْفِرُ ذمامي. ولا أغرسُ الأيادي في أرضِ الأعادي».

أنواع الجناس اللفظي

١ - **منها الجناسُ التامّ**: وهو ما اتّفقَ فيه اللفظانِ المُتجانِسانِ في أربعة أشياءَ: نوعِ الحروف، وعددِها، وهيئاتها الحاصلة من الحركات والسكنات، وترتيبها مع اختلاف المعنى.

فإن كان اللفظان المتجانسان من نوع واحد، كاسمين أو فعلين، أو حرفين، سُمِّي الجناسُ مُماثلاً[١] ومُستوفياً، نحو: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾[٢]. فالمراد بالساعة الأولى يومَ القيامة، وبالساعة الثانية المُدّة من الزمان، ونحو: «رَحْبةٌ رَحْبةٌ». فرحبَة الأولى: فِناء الدار، ورَحْبةُ الثانية: بمعنى واسعة.

وإن كانا نوعين، كفعل واسم، سُمِّيَ الجناسُ مستوفياً. نحو: «ارْعَ الجارَ ولو جارَ»، وكقول الشاعر:

ما ماتَ من كرمِ الزّمانِ فإنّه ... يَحيا لدى يَحيَى بنِ عبد اللهِ

فيحيا الأول فعل مضارع، ويحيى الثاني اسم الممدوح. ونحو:

إذا رماكَ الدّهرُ في مَعشرٍ ... قد أجمعَ الناسُ على بُغضِهمْ

فدارِهم ما دُمتَ في دارِهم ... وأرضِهم ما دُمْتَ في أرضِهمْ

والجناسُ التامّ ممّا لا يَتّفِقُ للبليغ إلا على نُدورٍ وقِلّة، فهو لا يقعُ مَوقعَه من الحُسن حتى يكونَ المعنى هو الذي استَدْعاهُ وساقَه. وحتى تكونَ كلمتُه ممّا لا يَبْتَغي الكاتبُ منها بدَلاً، ولا يَجِدُ عنها حِوَلاً.

٢ - **ومنها الجناسُ غير التام**: وهو ما اختلفَ فيه اللفظان في واحدٍ أو أكثر من الأربعة السّابقة، ويجبُ ألا يكونَ بأكثرَ من حرفٍ، واختلافُهما يكونُ: إمّا بزيادة حرف في الأول، نحو: «دوامُ الحال من المُحال». أو في الوسط، نحو: جَدِّي وجَهْدي. أو في الآخر، نحو: «الهوى مطيّةُ الهوان».

والأول يُسمَّى «مَرْدوفاً»، والثاني يسمى «مُكْتَنِفاً»، والثالث «مُطَرَّفاً» كقوله

---

(١) اعلم أن العبرة بالمماثلة تكون بالنطق لا بالكتابة .

(٢) سورة الروم، الآية ٥٥ .

تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾[١]، وكقول الشاعر:

فإنْ حلّوا فليسَ لهمْ مَقَرٌّ وإنْ رَحَلوا فليسَ لهم مَقرُّ

وكقوله عليه السلام: «الخيل معقودٌ في نواصيها[٢] الخير إلى يوم القيامة». ومن اختلافِ أعدادِها، قولك: هذا بناءٌ ناءٍ. ومن اختلافِ ترتيب الحروف، قوله: «في حُسامِه فتْحٌ لأوليائه، وحَتْفٌ لأعدائه». ومن هذا قول الأحنف:

حُسامُك فيه للأحباب فتْحٌ ورُمحُكَ فيه للأعداءِ حَتْفُ

ومن اختلاف الهيئة، قول الشاعر:

الجَدّ في الجِدّ والحِرْمانُ في الكسلِ فانْصَبْ تُصِبْ عن قريبٍ غايةَ الأملِ

٣ - **ومنها الجناس المطلق**: وهو توافقُ رُكنيهِ في الحروف وترتيبها بدون أن يَجمَعُهما اشتقاقٌ، كقوله ﷺ: «أسْلم سَالمها الله، وغِفارٌ غفر الله لها، وعُصيّة عَصَتِ الله ورسولَه».

فإن جمعهما اشتقاق، نحو: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾﴾[٣] فقيل: يُسمّى جناسَ الاشتقاق[٤].

---

(١) سورة غافر، الآية ٧٥ .
(٢) شعر مقدم الرأس .
(٣) سورة الكافرون، الآيتان ٢ و٣ .
(٤) كقوله:

فيا دمعُ أنجِدني على ساكِني نَجْدِ

وكقوله:

وإذا ما رياحُ جودِكَ هَبَّتْ صارَ قولُ العَذولِ فيه هَباءَ

وقول النابغة:

فيا لك من حزمٍ وعزٍّ طواهُما جديدُ الرّدى بينَ الصّفا والصفائحِ

وقول البحتري:

نسيمُ الروضِ في ريحِ شَمالِ وصَوْبُ المُزْنِ في راحِ شَمولِ

وكقوله:

أراكَ فيمتلي قلبي سروراً وأخشى أن تَسُطَّ بكَ الديارُ
فجُزْ واهجُرْ، وصِلْ ولا تصِلْني رضيتُ بأن تجورَ وأنتَ جارُ =

٤ - **ومنها الجناس المذيَّل والجناسُ المطَرَّف، فالأول**: يكونُ الاختلافُ بأكثرَ من حرفين في آخره. والثاني: يكونُ الاختلافُ بزيادةِ حرفين في أوله.

فالجناسُ المذيَّل، كقول أبي تمام:

يَمُدُّونَ من أيدٍ عَواصٍ عَواصمٍ تَصُولُ بأسيافٍ قَواضٍ قَواضِبِ

والجناسُ المطرَّف، كقول الشيخ عبد القاهر:

وكم سبَقتْ منه إليَّ عوارفٌ ثنائي على تلك العَوارفِ وارِفُ

وكم غُرَرٍ من بِرِّه ولَطائفٍ لَشُكري على تلك اللطائفِ طائفُ

٥ - **ومنها الجناس المضارع والجناس اللاحق، فالجناس المضارعُ** يكونُ باختلافِ رُكنيه في حرفينِ، لم يتباعَدا مَخرجاً، إمّا في الأول، نحو: ليلٌ دامِسٌ، وطريقٌ طامِسٌ. وإمّا في الوسط، نحو: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْوَوْنَ عَنْهُ﴾[1]. وإمّا في الآخر: نحو قوله ﷺ: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة».

= وكقوله:

مِن بحرِ جودِك أغترفْ وبفضلِ علمكَ أعتَرِفْ

وكقولهم: «خلفُ الوعد خلقُ الوغد».

وكقول الحريري:

لهم في الخير جريُ السبيلْ وإلى الخير جري الخيلْ

وكقول البُستي:

بسيف الدولة اتسقت أمور رأيناها مبدّدة النظامِ

وكقول السُّبكي:

كنْ كيف شئتَ عنِ الهوى لا أنتَهي حتى تعودَ ليَ الحياةُ وأنت هِيْ

وكقوله:

خليليَّ إنْ قالتْ بثينةُ: مالَه؟ أتانا بلا وعدٍ؟ فقولا لها: لها

أتى وهْوَ مشغولٌ لعُظْمِ الذي بهِ ومن باتَ طولَ الليل يرعى السُّها، سَها

بثينةُ تُزري بالغزالةِ في الضُحى إذا برزَتْ لم تُبقِ يوماً بِها، بَها

وكقوله:

سَما وحَمى بني سامٍ وحامِ فليسَ كمثله سامٍ وحامِ

وقول أبي نواس:

عباسُ عباسٌ إذا احتَدمَ الوغى والفضلُ فضلٌ والربيعُ ربيعُ

(١) سورة الأنعام، الآية ٢٦ .

والجناس اللاحق يكون في مُتباعدين، إمّا في الأول، نحو: ﴿هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾[١] وإمّا في الوسط، نحو: ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾[٢]. وإمّا في الآخر، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ﴾[٣].

٦ - **ومنها الجناس اللفظي**: وهو ما تَماثَل ركناهُ لفظاً، واختلفَ أحدُ رُكنيه عن الآخر خطّاً، إمّا الاختلافُ في الكتابة (بالنّون والتّنوين). وإمّا الاختلافُ في الكتابة (بالضّاد والظّاء، أو الهاء والتّاء).

فالأول: وهو ما تَماثَلَ رُكناه لفظاً، واختلفَ أحدُ ركنيه عن الآخر خطّاً في الكتابة بالنون والتنوين قوله:

أعذبُ خَلق الله نطقاً (وفماً) إنْ لم يكنْ أحقَّ بالحُسنِ (فَمَنْ)؟
مثلُ الغزالِ نَظرةً (ولَفتةً) من ذا رآهُ مُقبلاً (ولا افْتَتَنْ)؟

والثاني: هو اختلافُ أحدِ رُكنيه في الضّاد والظّاء، نحو قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾[٤] وكقول أبي فراس:

ما كنتَ تَصبر في القديـ ـمِ فلِمْ صبرتَ الآنَ عنّا؟
ولقد ظَنَنْتُ بك الظّنو نَ، لأنّه مَن ضَنّ ظنّا

والثالث: وهو اختلافُ أحدِ رُكنيه في الهاء والتاء، كقوله:

إذا جلستَ إلى قومٍ لِتُؤنسَهم بما تحدِّثُ من ماضٍ ومن آتِ
فلا تُعيدَنْ حديثاً، إنّ طَبْعَهُمو مُوكَّلٌ بمعاداةِ المُعاداتِ

٧ - **ومنها: الجناسُ المحرَّف والجناسُ المصحَّف**:

فالأول: ما اختلفَ رُكناه في هيئاتِ الحروفِ الحاصلة من حركاتِها وسكناتها، نحو: «جُبّة البُرد جُنّة البَردِ».

والثاني: ما تماثَل رُكناه وضعاً، واختلفا نَقْطاً، بحيث لو زالَ إعجامُ

---

(١) سورة الهمزة، الآية ١ .
(٢) سورة العاديات، الآيتان ٧ و٨ .
(٣) سورة النساء، الآية ٨٣ .
(٤) سورة القيامة، الآيتان ٢٢و٢٣ .

أحدهما لم يتميَّزْ عن الآخر. كقول بعضهم: «غرَّكَ عزُّك، فصارَ قُصارى ذَلك ذُلُّك، فاخْشَ فاحِشَ فِعلك، فَعَلّك بهذا تهتدي».

ونحو: «إذا زلَّ العِلْمُ، زلّ بزَلّته العَالم» وكقول أبي فراس:

مِنْ بَحرِ شِعرك أغترفْ وبفضلِ عِلمك أعترفْ

٨ - ومنها: الجناس المركَّب، والجناس المُلفَّق :

فالأول: ما اختلفَ رُكناه إفراداً وتركيباً. فإن كانَ من كلمةٍ وبعضِ أخرى سُمِّيَ «مَرفُوّاً»، كقول الحريري:

ولا تَلْهُ عن تَذكارِ ذَنبكَ وابكِهِ بدمعٍ يُضاهي المُزْنَ حالَ مُصابهِ
ومَثِّلْ لعينَيْكَ الحِمامَ ووَقْعَهُ ورَوْعَةَ ملقاهُ ومطعمَ صَابهِ

وإنْ كان من كلمتين، فإن اتفق الرُّكنان خطّاً سُمِّي «مقروناً»، كقوله:

إذا مَلِكٌ لم يكنْ «ذا هِبَهْ» فدعْه فدولتُه «ذاهِبهْ»

وإلا سُمّي «مفروقاً»، كقوله:

لا تَعْرِضَنّ على الرُّواةِ قَصيدةً ما لم تكُنْ بالغْتَ في «تهذيبها»
وإذا عرضْتَ الشِّعرَ غيرَ مهذَّبٍ عدُّوه منك وساوساً «تهذي بها»

والثاني: وهو الجناس الملفَّق: يكونُ بتركيب الركنين جميعاً، كقوله:

وليتَ الحُكمَ خمساً وهْيَ خَمْسٌ لَعَمري والصِّبا في العُنفوانِ
فلم تضعِ الأعادي قدرَ «شَاني» ولا قالوا: فلانٌ قد «رَشاني»

٩ - ومنها، جناسُ القلب: وهو ما اختلفَ فيه اللفظان في ترتيب الحروف، نحو: «حُسامُه فتْحٌ لأوليائه، وحَتْفٌ لأعدائه». ويُسمّى «قلبَ كلٍّ» لانعكاس الترتيب. ونحو: «اللهمّ استُرْ عوراتِنا، وآمِنْ رَوعاتِنا». ويسمى «قلب بعض» نحو: «رحم الله امرأً أمسكَ ما بين فكَّيْه، وأطلقَ ما بين كفّيه». وإذا وقع أحد المتجانسين في أول البيت، والآخر في آخره، سُمِّيَ «مقلوباً مُجنَّحاً»، كأنه ذو جناحين، كقوله:

و«لاحَ» أنوارُ الهدى من كفِّه في كلِّ «حال»

وإذا وَلِيَ أحدُ المتجانسين الآخرَ قيل له: «المزدوج». وإن كان التركيبُ

بحيثُ لو عُكسَ حصلَ بعينه «فالمستوي» وهو أخصُّ من «المقلوب المُجنَّح». ويسمّى أيضاً «ما لايستحيلُ بالانعكاس» نحو: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾[1] ونحو: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾[2].

وبعدُ، فلا يخفى على الأديب ما في الجناس من الاستدعاءِ لميل السامع، لأنّ النّفْسَ ترى حُسنَ الإفادة، والصّورةَ صُورة تكرار وإعادة. ومن ثَمَّ تأخذها الدّهْشةُ والاستغراب، ولأمرٍ ما، عُدّ الجناسُ من حُلى الشعر.

أنواع الجناس المعنوي

الجناسُ المعنوي نوعان: جناسُ إضمار، وجناسُ إشارة.

أ - فجناسُ الإضمار: أن يأتيَ بلفظٍ يُحضِرُ في ذهنك لفظاً آخر، وذلك اللفظُ المحضَرُ يُرادُ به غيرُ معناه، بدلالةِ السِّياق، كقوله:

مُنعَّم الجسم تَحْكي الماءَ رِقَّتُه ... وقلبُه قَسوةً يحكي أبا أوْسِ

و«أوس» شاعر مشهور من شعراء العرب، واسم أبيه حَجَر. فلفظ «أبي أوس» يُحضِرُ في الذِّهنِ اسمه، وهو «حَجَر»، وهو غيرُ مُراد، وإنما المرادُ الحجر المعلوم وكان هذا النوعُ في مبدئهِ مُسْتنكراً، ولكنّ المتأخرين وَلِعُوا به، وقالوا منه كثيراً. فمن ذلك قول البهاء زُهير:

وجاهلٍ طالَ بهِ عَنائي ... لازَمني وذاكَ مِن شقائي

أبغضُ للعينِ منَ الأقذاءِ ... أثقلُ من شماتةِ الأعداءِ

فهْو إذا رأتْهُ عينُ الرائي ... أبو معاذٍ أو أخو الخنساءِ

ب - وجناس الإشارة: هو ما ذُكر فيه أحدُ الركنين، وأشيرَ للآخر بما يَدُلُّ عليه، وذلك إذا لم يُساعِدْ الشعْرُ على التّصريح به، نحو:

يا «حمزةُ» اسمحْ بوصلٍ ... وامْنُنْ علينا بقُرْبِ

في ثغرِكَ اسمُكَ أضْحى ... مُصَحّفاً وبقلبي

فقد ذكر الشاعرُ أحدَ المُتجانسين وهو «حمزة»، وأشارَ إلى الجناس فيه، بأنّ مصحَّفَه في ثغره أي «خمرة»، وفي قلبه أي «جمرة».

---

(١) سورة الأنبياء، الآية ٣٣ .

(٢) سورة المدثر، الآية ٣ .

وبعدُ، فاعلمْ أنه لا يستحسنُ الجناسُ، ولا يُعدُّ من أسباب الحُسْن إلا إذا جاء عفواً، وسمحَ به الطبعُ من غير تكلُّف، حتى لا يكونَ من أسبابِ ضعفِ القول وانحطاطه، وتعرَّضَ قائلُه للسُّخرية والاستهزاء.

(٢) التصحيف

التّصحيفُ: هو التّشابُهُ في الخطِّ بين كلمتين فأكثر، بحيثُ لو أزيلَ أو غُيِّرتْ نُقَطُ كلمة كانت عين الثانية، نحو: التَّخَلِّي، ثم التّحَلِّي، ثم التّجلِّي.

(٣) الازدواج

الازْدِواجُ: هو تجانُسُ اللّفظين المُجاورين، نحو: «مَنْ جَدَّ وجَد، ومن لَجَّ ولَج».

(٤) السجع

السَّجْع: هو توافُقُ الفاصلتينِ[١] في الحرف الأخير من النّثر. وأفضلُه ما تساوتْ فِقَرُه وهو ثلاثة أقسام:

أولها - السجع المطَرَّف: وهو ما اختلفتْ فاصلتاه في الوزن، واتّفقتا في التّقفية، نحو قوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾[٢]. ونحو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾﴾[٣].

ثانيها - السجع المُرَصَّع: وهو ما اتّفقتْ فيه ألفاظُ إحدى الفقرتين أو أكثرها في الوزن والتقفية، كقول الحريري: «هو يَطبعُ الأسجاعَ بجواهِرِ لفظهِ، ويَقرَعُ الأسماعَ بزواجرِ وعْظهِ»[٤]، وكقول الهمذاني: «إنّ بعدَ الكدَر صَفواً، وبعدَ المطرِ صَحواً».

ثالثها - السجع المتوازي: وهو ما اتّفقت فيه الفِقْرتانِ في الوزن والتقفية،

---

(١) «الفاصلة» في النثر «كالقافية» في الشعر، والسجع خاصّ بالنثر.

(٢) سورة نوح، الآيتان ١٣ و١٤.

(٣) سورة النبأ، الآيتان ٦ و٧.

(٤) ولو أبدلت الأسماعُ بالآذان لكان مثالاً للأكثر، وسُمي السجع سجعاً تشبيهاً له بسجع الحمام. وفواصل الأسجاع موضوعة على أن تكون ساكنةَ الأعجاز، موقوفاً عليها، لأن الغرضَ أن يزاوجَ بينها، ولا يتمُّ ذلك إلا بالوقف.

نحو قوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾﴾[١] لاختلاف سُرُر، وأكواب، وزناً وتقفية، ونحو قوله تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ﴿٢﴾﴾[٢] لاختلافِ المرسلاتِ والعاصفات وزناً فقط، ونحو: «حسَدَ الناطقُ الصّامتَ، وهلَك الحاسدُ والشّامتُ»، لاختلافِ ما عدا الصّامت، والشّامت، تَقفية فقط.

والأسْجاعُ مبنية على سُكون أواخرها. وأحسنُ السَّجْع ما تساوتْ فِقَرُه، نحو قوله تعالى: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾[٣].

ثم ما طالت فقرتُه الثانية، نحو قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾﴾[٤]. ثم ما طالت ثالثتُه، نحو قوله تعالى: ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾﴾[٥]. ولا يحسن عكسه، لأنّ السامعَ يَنْتظرُ إلى مِقدار الأول، فإذا انقطعَ دونه أشبهَ العِثار[٦]. ولا يحسنُ السَّجعُ إلا إذا كانتِ المُفرداتُ رشيقةً، والألفاظُ خدمُ المعاني، ودلّتْ كلٌّ من القرينتين على معنى غيرِ ما دلّتْ عليه الأخرى، وحينئذ يكونُ حِليةً ظاهرةً في الكلام.

والسجع: موطنه النثر، وقد يجيء في الشعر نادراً، كقوله:

فنحنُ في جَزَلٍ، والرومُ في وَجَلٍ والبَرُّ في شُغُلٍ، والبحرُ في خَجَلِ

ولا يُستحسنُ السجعُ أيضاً إلا إذا جاء عفواً، خالياً من التكلُّف والتّصنُّع. ومن ثمّ لا تجدُ لبليغٍ كلاماً يخلو منه، كما لا تَخلو منه سورةٌ وإنْ قَصرتْ.

(٥) الموازنة

المُوازَنةُ: هي تَساوي الفاصلتين في الوزن دُون التّقفية، نحو قوله تعالى:

---

(١) سورة الغاشية، الآيتان ١٣ و١٤ .
(٢) سورة المرسلات، الآيتان ١ و٢ .
(٣) سورة الواقعة، الآيات من ٢٨ إلى ٣٠ .
(٤) سورة النجم، الآيتان ١ و٢ .
(٥) سورة البروج، الآيات من ٥ إلى ٧ .
(٦) يعني أنه لا يحسنُ أن يُؤتى في السجع بفقرةٍ أقصر مما قبلها كثيراً، لأنّ السجعَ إذا استوفى أمدَه من الأولى لطولها، ثم جاءت الثانية أقصرَ منها، يكون كالشيء المبتور .

﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾[1]، فإن مصفوفة ومبثوثة مُتّفقتان في الوزن، دُون التقفية، ونحو قول الشاعر:

أفـادَ فـسـادَ وقـادَ فـزادَ وسـادَ فـجـادَ وعـادَ فـأَفْـضَـلْ

(٦) الترصيع

التّرصيعُ: هو تَوازُن الألفاظ مع توافُق الأعجاز، أو تقارُبها، مثال التوافق، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾[2]، ومثال التقارب، نحو قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾﴾[3].

(٧) التشريع

التّشريعُ: هو بناءُ البيتِ على قافيتين، يصحُّ المعنى عندَ الوقوف على كلٍّ منهما، كقول الشاعر:

يا خاطبَ الدُّنيا الدَّنيَّةِ إنّها شَرَكُ الرَّدى، وقَرارةُ الأقذارِ
دارٌ متى ما أضحكَتْ في يومِها أبكَتْ غداً، تبّاً لها من دارِ!
وإذا أظلَّ سَحابُها لم ينتفعْ منه صَدًى، لجَهامهِ الغرّارِ
غاراتُها لا تَنقضي، وأسيرُها لا يُفتدى بجَلائلِ الأخطارِ

فتكونُ هذه الأبياتُ من بحر الكامل. ويصحُّ أيضاً الوقوفُ على الرَّدى وغَدا، وصدَى، ويُفتدى، وتكون إذاً من مجزوءِ الكامل، وتُقرأ هكذا:

يا خاطبَ الدُّنيا الدَّنيـ ـةِ إنها شَرَكُ الرَّدى
دارٌ متى ما أَضحكَتْ في يومِها أَبكَتْ غَدا
وإذا أظلَّ سَحابُها لم ينتفعْ منهُ صدَى
غاراتُها لا تَنقضي وأسيرُها لا يُفتدى

وكقوله:

---

(١) سورة الغاشية، الآيتان ١٥ و١٦ .
(٢) سورة الانفطار، الآيتان ١٣ و١٤ .
(٣) سورة الصافات، الآيتان ١١٧ و١١٨ .

يا أيّها الملكُ الذي عمَّ الورى ... ما في الكرامِ له نَظيرٌ يُنظرُ
لو كانَ مثلَك آخَرٌ في عصرنا ... ما كانَ في الدنيا فقيرٌ مُعسِرُ

إذ يمكن أن يُقال أيضاً في هذين البيتين:

يا أيُّها الملكُ الذي ... ما في الكرامِ له نظيرُ
لو كانَ مثلَك آخَرٌ ... ما كانَ في الدّنيا فقيرُ

(٨) لزوم ما لا يلزم

لزومُ ما لا يَلْزمُ: هو أن يجيءَ قبلَ حرف الرَّويِّ، أو ما في معناه من الفاصلة، بما ليس بلازمٍ في التقفية. ويُلتزمُ في بيتين أو أكثر من النظم أو في فاصلتين أو أكثرَ من النثر نحو قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾[1] وكقول الطُّغرائيِّ في أول لاميَّته المشهورة:

أصالةُ الرّأي صَانتْني عنِ الخطَلِ ... وحِليةُ الفَضْلِ زانتْني لدى العَطَلِ

وكقوله:

يا مُحرقاً بالنّارِ وَجْهَ مُحبِّهِ ... مَهلاً فإنّ مَدامِعي تُطفيهِ
أحرقْ بها جَسدي وكلَّ جَوارحي ... واحرِصْ على قلبي فإنّك فيهِ

وقد يُلتزَمُ أكثرُ من حرف، كقوله:

كُلْ واشربِ الناسَ على خِبْرةٍ ... فهُم يَمرُّونَ ولا يُعذَّبونْ
ولا تُصدِّقْهم إذا حدَّثوا ... فإنّهم مِن عهدِهم يُكذَّبونْ

(٩) ردُّ العجز على الصدر

أ - رَدُّ العَجُز على الصَّدر: في النثر، هو أنْ يُجعلَ أحدُ اللفظين المُكرَّرين، أو المُتجانسين، أو المُلحقين بهما بأنْ جمعهما اشتقاقٌ أو شبهُه في أول الفقرة، ثم تُعادُ في آخرها، كقوله تعالى: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾[2]، وقولك: «سائلُ اللئيمِ يَرجعُ، ودمعُه سائلُ». فسَائلُ الأولُ من

(١) سورة الضحى، الآيتان ٩ و١٠ .
(٢) سورة الأحزاب، الآية ٣٧ .

السؤال، وسائل الثاني من السَّيلان. ونحو قوله تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾[١]. واللّذانِ يَجمعهما شِبهُ اشتقاق، نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾[٢].

ب - رَدُّ العجُزِ على الصدر: في النظم، هو أن يكونَ أحدُهما في آخر البيت، والآخرُ يكون: إمّا في صدرِ المِصراع الأول، أو في حشوه، أو في آخره[٣]. وإمّا في صدر المصراع الثاني، نحو قوله:

سريعٌ إلى ابنِ العمِّ يلطمُ وجهَه ... وليس إلى داعي النَّدى بسريعِ

وقوله:

تمتَّعْ مِن شَميم عَرارِ نَجدٍ ... فما بعدَ العَشيّةِ مِن عَرارِ

وقوله:

ذَرائبُ سُودٌ كالعناقيد أُرسِلَتْ ... فمنْ أجلها مِنّا النفوسُ ذَوائبُ

(١٠) ما لا يستحيلُ بالانعكاس

ما لا يستحيل بالانعكاس: هو كونُ اللفظ يُقرأُ طَرْداً وعكساً، نحو: كُن كما أمكنك، ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾[٤]. وكقوله:

مودّتُه تدومُ لكلِّ هَوْلٍ ... وهَل كلُّ مَودَّتُهُ تدومُ؟

(١١) المواربة

المُوارَبةُ: هي أن يَجعلَ المتكلِّمُ كلامَه بحيثُ يمكنُه أن يُغيِّرَ معناه بتَحْريفٍ، أو تصحيفٍ، أو غيرهما، لِيَسْلَمَ من المُؤاخذة، كقول أبي نواس:

لقد ضاعَ شِعْري على بابِكُمْ ... كما ضاعَ عِقْدٌ على خالصَهْ

فلمّا أنكر عليه الرشيدُ ذلك، قال أبو نواس: لم أقل إلا:

---

(١) سورة نوح، الآية ١٠ .

(٢) سورة الشعراء، الآية ١٦٨ .

(٣) كقوله:

ومن كان بالبيضِ الكواعبِ مُغْرماً ... فما زلتَ بالبيضِ القواضبِ مُغْرَما

(٤) سورة المدثر، الآية ٣ .

لقد ضاءَ شعري على بابِكُمْ كما ضاءَ عِقدٌ على خالصَهْ

(١٢) ائتلاف اللفظ مع اللفظ

ائتِلافُ اللّفظ مع اللفظ: هو كونُ ألفاظ العبارة من وادٍ واحد في الغرابة والتأمّل، كقوله تعالى: ﴿تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾[١]. لَمّا أتى بالتاء التي هي أغربُ حروف القسم، أتى بـ ﴿تَفْتَؤُاْ﴾ التي هي أغربُ أفعال الاستمرار.

(١٣) التسميط

التَّسميط: هو أن يجعلَ الشاعرُ بيتَه على أربعةِ أقسام، ثلاثةٌ منها على سَجع واحد، بخلافِ قافيةِ البيت، كقول جنوب الهُذَليّة:

وحَرب وَرِدْتَ وثغْرٍ سَدَدْتَ وعِلْجٍ شَدَدْتَ عليه الحِبالا

وقوله:

في ثغرهِ لَعَسٌ في خدِّه قَبَسٌ في قَدِّه ميَسٌ في جسمه تَرَفُ

(١٤) الانسجام أو السهولة

الانسجامُ أو السُّهولة: هو سلامةُ الألفاظ، وسُهولة المعاني مع جَزالتها وتناسُبها، كقول الشاعر:

ما وهبَ اللهُ لامرئٍ هِبةً أفضلَ من عقلهِ ومن أدبهْ
هما كمالُ الفتى، فإن فُقدا ففقدُه للحياةِ أليقُ بِهْ

(١٥) الاكتفاء

الاكتِفاء: هو أن يَحْذفَ الشّاعر من البيت شيئاً، يُستغنى عن ذكره بدلالة العقل عليه، كقول الشاعر:

فإنّ المنيّة من يَخْشَها فسوفَ تُصادمُه أينما

أي أينَما توجّه[٢].

---

(١) سورة يوسف، الآية ٨٥ .

(٢) وكقوله:

(١٦) التطريز

التّطريز: هو أن يكون صدرُ النثر أو الشعر مُشتملاً على ثلاثة أسماء مختلفة المعاني، ويكون العجُز صفةً مُتكرِّرةً بلفظٍ واحد، كقول القائل:

وتَسقيني وتَشربُ من رحيقٍ ... خَليقٍ أن يُلَقّبَ بالخَلوقِ
كأنّ الكأسَ في يَدِها وفيها ... عَقيقٌ في عقيقٍ في عَقيقِ

نموذج

بيّنْ ما في الأبيات الآتية من المحسّنات اللفظية:

- عَضّنا الدّهرُ بنابِهْ ... ليتَ ما حَلَّ بنا بِهْ[1]
- إلى حتفي سعى قدمي ... أرى قدمي أراق دمي[2]
- لئن أخطأتُ في مديحكَ ما ... أخطأتَ في مَنْعي
لقد أنزلتُ حاجاتي ... بوادٍ غيرِ ذي زرعِ[3]

= ما للنوى ذنبٌ ومَن أهوى معي ... إنْ غابَ عن إنسانِ عيني فَهْوَ في

وكقوله:

يا لائمي في هَواها ... أفرطتَ في اللوم جَهْلا
ما يعلمُ الشوقَ إلا ... ولا الصبابَةَ إلا

وكقوله:

ضلوا عن الماءِ لما أن سَرَوا سَحَراً ... قومي فظلوا حَيارى يَلْهثون ظَما
واللهُ أكرَمني بالماءِ بعدَهُمو ... فقلتُ: يا ليتَ قومي يَعلمون بما

وكقوله:

الدمعُ قاضٍ فافتضاحي في هَوى ... ظَبي يغارُ الغصنُ منه إذا مشَى
وغَدا بوجدي شاهدٌ أوشَى بما ... أخفى فيالله مِن قاضٍ وشا

وكقوله:

لا أنتهي لا أنثني لا أرعوي ... ما دمتُ في قيدِ الحياة ولا إذا

(١) فيه جناس تام بين (بنابه) الأولى، أحد أنياب الأسنان، (وبنا به) الثانية المركبة من (بنا) و(به) .

(٢) فيه جناس تام بين (أرى قدمي) أي: أنظرُ قدمي، و(أراق دمي) أي: صبّ وأهدرَ دمي، أي قتلني بلا دية .

(٣) في الشطر الأخير من البيت الثاني اقتباسٌ من الآية الكريمة: ﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم: ٣٧] .

- وفي الحديث: «اللهمّ أعطِ مُنفقاً خلَفاً، وأعطِ مُمْسكاً تلفاً»[١].

- قد بُلينا في عصرِنا بأناسٍ يَظلمون الأنامَ ظُلماً عمّا
يأكلونَ التُّراثَ أكلاً لَمّا ويحبونَ المالَ حُبّاً جَمّا[٢]

- وإنْ أقرَّ على رَقٍّ أناملَهُ أقرَّ بالرقِّ كُتّابُ الأنامِ لَهُ[٣]

* * *

(١) فيه سَجْعٌ مرصَّع لأن إحدى الفقرتين كالثانية في الوزن والتقفية .

(٢) في البيت الثاني اقتباسٌ من القرآن الكريم من سورة الفجر ﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾ [الفجر: ١٩ - ٢٠] .

(٣) فيه جناس تام بين (أناملَه) و(الأنام له) .

obeikandl.com

خاتمة

في السرقات الشعرية وما يتبعها

السَّرقَةُ: هي أن يَأخذَ الشَّخْصُ كلامَ الغير، ويَنسبهُ لنفسهِ. وهي ثلاثة أنواع: نَسْخٌ، ومَسخٌ، وسَلخٌ.

أ - **النَّسْخ**: ويُسَمَّى انتِحالاً أيضاً، هو أن يأخذَ السَّارقُ اللفظَ والمعنى معاً بلا تغييرٍ ولا تبديلٍ، أو بتبديل الألفاظ كلِّها، أو بعضها بمُرادفها. وهذا مذمومٌ، وسرقة مَحضة، كما فعلَ عبد الله بن الزَّبير بقولِ مُعَن بنِ أَوس[1]:

إذا أنتَ لم تُنصفْ أخاكَ وَجَدْتَه ... على طَرَفِ الهِجْرانِ إنْ كان يعقلُ

ويركبُ حدَّ السَّيفِ من أن تُضيمَه ... إذا لم يكنْ عن شَفرةِ السَّيفِ مَزحَلُ

وأمّا تبديلُ الألفاظ بمُرادفها، كما فُعِل بقول الحُطَيْئَة:

دَعِ المكارمَ لا تَرْحَلْ لبغيتها ... واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

فقال الآخر:

زُرِ المآثرَ لا تَذهَبْ لمطلَبِها ... واجلسْ فإنَك أَنتَ الآكلُ اللَّابسْ

وقريب مّنه تبدُّلُ الألفاظِ بضدِّها، مع رعايةِ النَّظم والتَّرتيب. كما فُعِل بقول حسَّان رضي الله عنه:

بِيضُ الوجوهِ كريمةٌ أحسابُهم ... شُمُّ الأنوفِ منَ الطِّرازِ الأولِ

فقال غيره:

سُودُ الوجوه لئيمةٌ أحسابُهم ... فُطْسُ الأنوفِ منَ الطِّرازِ الآخرِ

ب - **والمسْخُ**: أو الإغارة، هو أن يأخذَ بعضَ اللَّفظِ، أو يُغَيِّرَ بعضَ النَّظمِ. فإن امتاز الثاني بحُسْن السَّبك فممدوح، نحو قول الآخر:

مَن راقَب الناسَ لم يَظْفَرْ بحاجتهِ ... وفازَ بالطيّباتِ الفاتكُ اللَّهِجُ

---

(١) الزَّبِير: بفتح فكسر في هذا، ويوجد اسمٌ آخرُ بضمٍّ ففتح . ومُعَن بضم وفتح، ومعن بن زائدة بفتح فسكون .

مع قول غيره:

مَـن راقَـب الـنـاسَ مـاتَ هـمّـاً وفـاز بـالـلَّـذّةِ الـجـسـورُ

فإنَّ الثاني أعذبُ وأخصَرُ، وإن امتازَ الأولُ فقط فالثاني مذموم. وإن تساويا فالثاني لا يذمُّ ولا يمدحُ، والفضلُ للسابق.

ج - **والسَّلخُ**: ويُسمَّى إلماماً وهو أنْ يأخذَ السَّارقُ المعنى وحده. فإن امتازَ الثاني فهو أبلغُ، نحو قول الشاعر:

هو الصُّنعُ إنْ يعملْ فخيرٌ وإنْ يرثْ فلَلرَّيْثُ في بعضِ المواضعِ أنفَعُ

مع قولِ غيره:

ومـنَ الـخـيـرِ بُـطءُ سَـيْـبِـك عـنِّـي أسرعُ الـسُّحبِ في المَسير الجَهامُ

وإنِ امتازَ الأول، فالثاني مذموم. وإنْ تماثلا فهو أبعدُ عن الذم. كقوله:

ولـم يـكُ أكـثـرَ الـفـتـيـانِ مـالاً ولـكـنْ كـان أرحَـبَـهُـم ذِراعـا

مع قولِ الآخر:

ولـيـسَ بـأوسَـمِـهـمْ فـي الـغـنـى ولـكـنَّ مـعـروفَـهُ أوسَـعُ

ويتصلُ بالسرقات الشعرية ثمانية أمور: الاقتباسُ، والتضمينُ، والعَقد، والحَلُّ، والتَّلميحُ، والابتداء، والتَّخلُّص، والانتهاء.

١ - **الاقتباس**: هو أن يُضمِّنَ المتكلمُ منثورَه أو منظومَه شيئاً من القرآن أو الحديث، على وجهٍ لا يُشْعر بأنه منهما، فمثالُه من النثر «فلم يكنْ إلا كلمح البصر، أو هو أقربُ، حتى أنشدَ فأغرب»[(١)]. ونحو قولِ الحريري: «أنا أُنَبِّئكم بتأويلِه، وأميِّزُ صحيحَ القولِ من عليله»[(٢)]، وكقول عبدِ المؤمن الأصفهاني: لا تَغُرَّنَّكَ منَ الظَّلمَةِ كثرةُ الجيوش والأنصار ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[(٣)]، ومثالُه من الشعر قوله[(٤)]:

---

(١) تنظر سورة النحل، الآية ٧٧ .

(٢) تنظر سورة الكهف، الآية ٧٨ .

(٣) سورة إبراهيم، الآية ٤٢ .

(٤) ولا بأس بتغيير يسير في اللفظ المقتبس للوزن أو غيره، نحو:

قد كان ما خفت أن يكونا إنا إلى الله راجعونا

وفي القرآن: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]، ويكون الاقتباسُ مذموماً في الهزلِ، كقوله: =

وثغرٍ تنضَّدَ مِن لُؤلؤٍ بألبابِ أهلِ الهَوى يَلعبُ
إذا ما ادلهمَّتْ خطوبُ الهوَى يكادُ سَنَا بَرقِه يَذْهَبُ[1]

وكقول الشاعر الآخر:

إن كنتِ أزمعتِ على هجرِنا من غيرِ ما جُرمٍ فصبرٌ جميلْ[2]
وإن تبدَّلْتِ بنا غيرَنا فحَسبُنا اللهُ ونعمَ الوَكيلْ[3]

وكقول القائل الآخر:

لا تكن ظالماً ولا ترضَ بالظُّلْـ ـمِ وأنكِرْ بكلِّ ما يُستطاعُ
يومَ يأتي الحسابُ ما لِظَلومٍ مِن حميمٍ ولا شفيعٍ يُطاعُ[4]

وكقول بعضهم:

إن كانتِ العشاقُ من أشواقِهم جَعلوا النَّسيمَ على الحبيبِ رسولا
فأنا الذي أتلو لهم: يا ليتني كنتُ اتخذتُ معَ الرسولِ سَبيلا[5]

وكقول الشاعر:

رَحَلوا فلمْتُ مسائلاً عن دارِهمْ أنا باخِعٌ نَفسِي على آثارِهمْ[6]

وكقول الآخر:

ولاحَ بحكمتي نورُ الهدى في ليالٍ للضلالة مُذْلَهِمَّهْ
يريد الجاهلون ليطفئوه ويَأبى اللهُ إلاّ أنْ يُتِمَّهْ[7]

= أوحَى إلى عشاقِه طرفُهُ «هيهاتَ هيهاتَ لِما تُوعَدون» [المؤمنون: ٣٦]
وردفٍ ينطقُ من خلفِهِ: «لمثلِ هذا فليعملِ العاملون» [الصافات: ٦١].

(١) تنظر سورة النور، الآية ٤٣ .
(٢) تنظر سورة يوسف، الآية ١٨ .
(٣) تنظر سورة آل عمران، الآية ١٧٣ .
(٤) تنظر سورة غافر، الآية ١٨ .
(٥) تنظر سورة الفرقان، الآية ٢٧ .
(٦) تنظر سورة الكهف، الآية ٦ .
(٧) تنظر سورة التوبة، الآية ٣٢ .

obeikandl.com

ومثالُه من الحديثِ في النثر قولُ الحريري: «شاهتِ الوجوهُ، وقَبُح اللُّكَع ومَن يرجوه». وكقول الحريري أيضاً: «وكتمانُ الفقرِ زهادَةٌ، وانتظارُ الفرجِ بالصبرِ عبادة». ومثاله من الحديث في الشعر قول الشَّاعر:

قالَ لي: إنَّ رقيبي ... سيِّئُ الخُلْقِ فدارِهْ
قلتُ دعني وجهُكَ «الجـ ... ـنةُ حُفَّتْ بالمكارِهْ»
- فلو كانتِ الأخلاقُ تُحْوَى وراثةً ... ولو كانتِ الآراءُ لا تتشَعَّبُ
لأصبحَ كلُّ الناسِ قد ضمَّهم هَوى ... كما أنَّ كلَّ الناسِ قد ضَمَّهم أبُ
ولكنها الأقدارُ «كلٌّ مُيسَّرٌ ... لِمَا هو مخلوقٌ له» ومُقَّرَبُ

وكقول القائل:

لا تُعادِ النَّاسَ في أوطانِهم ... قلَّما يُرْعى غريبُ الوطن
وإذا ما شِئتَ عيشاً بينَهُمْ ... خالِقِ الناسَ بخُلقٍ حَسَن[1]

٢ - **والتَّضمين**: هو أن يُضَمِّنَ الشاعرُ كلامَه شيئاً من مشهور شعر الغير معَ التَّنبيه عليه[2] إن لم يكنْ مشهوراً لدى نُقَّاد الشّعر، وذوي اللَّسْن. وبذلك يَزداد شعرُهُ حُسناً، كقول الصاحب بن عبَّاد:

---

(١) وينقسمُ الاقتباس إلى ضربين:
الأول: ضربٌ منه لا ينقلُ فيه اللفظُ المقتبسُ عن معناهُ الأصلي إلى معنى آخر، كما تقدم.
الثاني: ما ينقلُ إلى معنًى آخر، كقول ابن الرومي:

لئن أخطأتُ في مديـ ... ـحكَ ما أخطأتَ في منعي
لقد أنزلتُ حاجاتي ... بوادٍ غيرِ ذي زرعِ

فقد كَنى بلفظ (واد)، عن رجلٍ لا يُرجى نفعُه، ولا خيرَ فيه، وهو في الآية الكريمة: بمعنى (وادٍ) لا ماءَ ولا نباتَ. وقد أجازوا تغييرَ اللفظ المقتبس بزيادةٍ فيه أو نقصٍ، أو تقديمٍ أو تأخير، كما سبق. واعلمْ أنَّ الاقتباسَ ثلاثة أقسام:
١ - مقبول: وهو ما كان في الخطبِ و المواعظ.
٢ - ومباح: وهو ما يكون في الغزل والرسائل و القصص.
٣ - ومردود: وهو ما كان في الهزل، كما تقدم ذكره.

(٢) أما تضمينه بلا تنبيه عليه لشهرته، فكقوله:

أولى البريَّةِ طُرّاً أنْ تواسِيَهُ ... عندَ السرور الذي واساكَ في الحَزَنِ
«إنَّ الكرامَ إذا ما أيسَروا ذكروا ... مَن كان يألفُهم في المنزل الخشِنِ»

وكقوله: =

أَشكو إليك زماناً ظَلَّ يَعرُكني ... عَرْكَ الأديم، ومَنْ يَعْدُو على الزمنِ
وصاحباً كنتُ مغبوطاً بصُحبتهِ ... دَهراً، فغادَرَني فَرداً بلا سَكنِ
وباعَ صَفْوَ وِدادٍ كنتُ أقصُرُه ... عليه مُجتهداً في السِّر والعَلَنِ
كأنَّه كان مَطويّاً على إِحَنِ[1] ... ولم يكنْ في قديمِ الدهرِ أنشدني:
«إنَّ الكِرامَ إِذا ما أيسَروا ذكروا ... مَن كان يألفُهم في المنزل الخَشِنِ»

وكقوله:

إذا ضاق صَدري وخِفتُ العِدَا ... تَمثَّلتُ بيتاً بحالي يليقُ
فبالله أبْلغُ ما أَرْتَجي ... وبالله أَدفعُ ما لا أُطيقُ

وكقول الحريري يحكي ما قاله الغلام الذي عَرضه أبو زيدٍ للبيع:

على أَنّي سأُنشِدُ عندَ بيعي: «أَضاعوني وأَيَّ فتًى أَضاعوا»[2]

= قد قلتُ لما أطلعتْ وجناتُه ... حول الشقيق الغَضّ روضةَ آسِ:
أعِذارَه الساري العجولَ ترفُّقاً ... «ما في وقوفِكَ ساعةً من باسِ»
فالمصراعُ الأخيرُ مطلع قصيدةٍ مشهورةٍ لأبي تمام:
ما في وقوفِكَ ساعةً مِن باسِ ... تَقْضي حقوقَ الأربعِ الأَدْراسِ
وأحسنُ التضمين أن يزيد المضمِّنُ في كلامه نكتةً لا توجد في الأصلِ كالتورية، والتشبيه. كما في قولِ ابن أبي الإصبع مضمِّناً:
إذا الوهم أبدى لي لماها وثغرها ... «تذكرتُ ما بين العُذَيبِ وبارقِ»
ويُذكِرُني من قدِّها ومَدامعي ... «مَجرى عوالينا ومَجرى السوابقِ»
فالمصراعانِ الأخيرانِ مطلعُ قصيدةٍ لأبي الطيب المتنبي:
تذكرتُ ما بين العُذيبِ وبارقِ ... مَجرى عَوالينا ومَجرى السوابقِ
يريد المتنبي أنهم كانوا نزولاً بينَ هذين الموضعين يجرون الرماحَ عند مطاردة الفرسان، ويسابقون على الخيل، أما الشاعر الآخر، فأرادَ بالعذيب تَصغير «العذب»، وعنى به شفةَ الحبيبة، وأرادَ ببارقٍ ثغرَها الشبيه بالبرق، وبما بينهما ريقها، وهذه توريةٌ بديعة نادرة في بابها . وشبَّه تبخترَ قَدِّها بتمايلِ الرماح، وتتابُعَ دموعهِ بجريان الخيل السوابق .

(١) الإحن: مفردها إحنة، وهي المَصية .

(٢) ولا بأس من التغيير اليسير، كقوله:
أقولُ لمعشرٍ غلطوا وغَضُّوا ... مِنَ الشيخِ الرشيدِ وأنكروهُ
هو ابنُ جلا وطلاعُ الثَّنايا ... مَتَى يضعِ العمامةَ تَعرفوهُ
وكقوله: =

فالمصراعُ الأخير للعرْجي وهو محبوس، وأصله:

أَضاعوني وأيَّ فتًى أضاعوا ... ليومِ كَريهَةٍ وسِدَادِ ثَغْرِ
وصبرٍ عند مُعتركِ المنايا ... وقد شُرِعتْ أَسِنَّتُها بنَحري

٣ - **والعقد**: هو نظمُ النثر مطلقاً لا على وجهِ الاقتباس. ومن شروطه أن يُؤخَذ المنثورُ بجملةِ لفظه، أَو بمعظمِهِ، فيزيد الناظم فيه ويُنقص، ليدخلَ في وزنِ الشعر، فعقد القرآن الكريم، كقوله:

أنِلْني بالذي استقرضْتَ خطًّاً ... وأشهِدْ معشراً قد شاهَدوهُ
فإنَّ اللهَ خلَّاقَ البرايا ... عَنَتْ لجلالِ هيبتهِ الوجوهُ
يقول: «إذا تَدَايَنتم بدين ... إلى أجلٍ مُسمًّى فاكتبوهُ»[١]

وعند الحديث الشريف، كقوله:

إنَّ القلوبَ لأجنادٌ مجنَّدَةٌ ... بالإذنِ من ربِّها تَهوَى وَتأتَلِفُ
فما تعارفَ منها فهو مُؤتلفٌ ... وما تناكَرَ منها فهْوَ مختلفُ[٢]

وكقوله:

واستعملِ الحلمَ واحفَظْ قولَ بارئنا ... سبحانَهُ: «خَلقَ الإنسانَ مِن عَجَلِ»[٣]

٤- **والحل**: هو نثرُ النظم. وإنما يقُبْل إذا كان جَيِّدَ السَّبك، حسنَ الموقع، كقوله:

إذا ساءَ فعلُ المرءِ ساءَتْ ظنونُهُ ... وصدَّقَ مَا يعتادُه مِن توهُّمِ[٤]

= طولُ حياةٍ نالها طائلُ ... تغصُّ عندي كلَّ ما يُشتَهى
أصبحتُ مثلَ الطفل في ضعفِه ... تشابهَ المبدأ والمنتهى
فلِمْ تَلُمْ سمعي إذا خانني ... «إنَّ الثمانينَ وبُلِّغتَها»

(١) ما بين علامتي التنصيص مقتبس من الآية ٢٨٢ من سورة البقرة.
(٢) يشير إلى الحديث النبوي «الأرواح جنود مجندة، ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف».
(٣) ما بين علامتي تنصيص مقتبس من الآية ٣٧ من سورة الأنبياء .
(٤) تقول في نثر هذا البيت: لما قبحت فعلاتُه، وحنظلت نخلاتُه، لم يزلْ سوءٌ يقتادُه، ويصدقُ توهُّمه الذي يعتاده .

٥ - **والتلميح**: هو الإشارةُ إلى قصةٍ معلومة، أو شعرٍ مشهور، أو مثَلٍ سائر من غير ذكره. **فالأول**: وهو الإشارةُ إلى قصة معلومة، نحو:

يا بدرُ أهلُكَ جاروا وعَلَّموا التَّجرِّي وقَبِّحوا لكَ وَصْلي
وحَسَّنوا لكَ هَجْري فليفعلوا ما أرادوا فإنَّهم أهلُ بدرِ

وكقوله تعالى: ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾[1]. أشارَ يعقوب في كلام هنا لأولادهِ، بالنسبة إلى خيانَتِهم السابقةِ في أمرِ أخيهم يوسف، ونحو قولِ الشاعر:

فو اللهِ ما أدري أأحلامُ نائمٍ أَلَمَّتْ بنا أم كانَ في الرَّكبِ يوشَعُ[2]

والثاني: وهو الإشارةُ إلى شعرٍ مشهور، نحو قولِ الشاعر:

لعمرو مع الرَّمضاء والنار تَلْتَظي أرقُّ وأحفى منك في ساعة الكرب

إشارة إلى قول الآخر:

المستجيرُ بعمرٍو عندَ كربتهِ كالمستجيرِ منَ الرَّمضاء بالنارِ

والثالث: وهو الإشارةُ إلى مَثَل سائر من غيرِ ذكره، نحو قولِ الشاعر:

مَن غابَ عَنكم نَسِيتُموهُ وقلبُه عندَكُم رهينَهْ
أظنُّكم في الوفاءِ ممَّنْ صُحبتُهُ صُحبةُ السفينَهْ

٦ - **وحسن الابتداء، أو براعة المطلع**: هو أن يُجعلَ أولُ الكلامِ رقيقاً سهلاً، واضحَ المعاني، مستقلاً عمَّا بعده، مناسباً للمقام بحيث يجذبُ السامعَ إلى الإصغاء بكلّيته، لأنه أولُ ما يقرعُ السمع، وبه يُعرف ممَّا عنده. قال ابنُ رشيق: إن حسنَ الافتتاحِ داعيةُ الانشراح، ومطيَّةُ النجاح، وذلك كقول الشاعر:

المجدُ عُوفِيَ إذ عُوفيتَ والكرمُ وزالَ عنكَ إلى أعدائك السَّقَمُ

---

(١) سورة يوسف، الآية ٦٤ .

(٢) إشارة إلى استيقاف يوشع للشمس؛ يُروى أنه عليه السلام: قاتلَ الجبارين يوم الجمعة . فلما أدبرتِ الشمسُ خافَ أن تغرُبَ قبل أن يفرغَ من قتالهم، ويدخُلَ يوم السبت، فلا يحلُّ له قتالهُم فيه، فدعا الله، فأبقَى له الشمس، حتى فرغ من قتالهم .

وتزدادُ براعةُ المطلع حسناً، إذا دلَّت على المقصودِ بإشارة لطيفة.

وتُسمى براعةَ استهلال[١]، وهي أن يَأتيَ النَّاظمُ، أو الناثر في ابتداء كلامهِ بما يدلُّ على مقصودِه منه بالإشارة، لا بالتصريح. كقول أبي محمدٍ الخازِن مُهنئاً الصاحب بن عباد بمولود:

بُشرى فقد أنجزَ الإقبالُ ما وَعَدا وكوكبُ المجد في أفقِ العلا صَعِدا

وكقول غيرِه، في التهنئة ببناء قصرٍ:

قصرٌ عليه تحيّةٌ وسَلامُ خَلَعَتْ عليه جَمالَهَا الأيامُ

وكقول المرحوم أحمد شوقي بك في الرثاء:

أَجَلٌ وإن طالَ الزمانُ مُوافي أخْلَى يديكَ منَ الخليلِ الوافي

وكقول آخَرَ في الاعتذار:

لنارِ الهمِّ في قلبي لهيبُ فعفواً أيها الملكُ المَهيبُ

وقد جاء في الأخبار أنَّ الشِّعر قُفْلٌ، وأوَّلُه مفتاحُه.

٧ - **والتَّخلص**: هو الخُروج والانتقالُ مما ابتدئَ به الكلام إلى الغرض المقصود برابطةٍ تجعلُ المعاني آخذاً بعضُها برقابِ بعض، بحيثُ لا يشعرُ السامعُ بالانتقالِ من نسيبٍ إلى مدح، أو غيره، لشدَّةِ الالتئام والانسجام، كقوله:

وإذا جلستَ إلى المُدامِ وشُربِها فاجْعَلْ حَديثَكَ كُلَّه في الكاسِ
وإذا نزعتَ عنِ الغوايةِ فليكُنْ للهِ ذاكَ النَّزعُ لا للناسِ
وإذا أردتَ مديحَ قومٍ لم تُلَمْ في مدحِهم فامدحْ بني العباسِ

وقوله:

دعتِ النَّوى بفراقِهم فتَشَتَّتوا وقضَى الزَّمانُ بِبَيْنِهِم فَتبدَّدوا

---

(١) وبراعة الطلب: هي أن يشيرَ الطالبُ إلى ما في نفسه دونَ أن يصرِّحَ بالطلب، نحو: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ [هود: ٤٥]، إشارةً إلى طلبِ النجاة لابنهِ. وكقوله:

وفي النفسِ حاجاتٌ وفيكَ فطانةٌ سُكوتي بيانٌ عندَها وخطابُ

وقد يُنتقَل مما افتُتِحَ به الكلامُ إلى الغرضِ المقصودِ مباشرةً بدونِ رابطةٍ بينهما. ويسمَّى ذلك اقتضاباً، كقول أبي تمَّام:

لو رأَى اللهُ أنَّ في الشيبِ خيراً جاورَتْهُ الأبرارُ في الخُلدِ شيبا
كُلَّ يومٍ تُبْدي صروفُ اللَّيالي خُلُقاً من أبي سعيدٍ رَغيبا

٨ - **وحسنُ الانتهاء**: ويقالُ له: «حسن الختام»، وهو أن يجعلَ المتكلمُ آخرَ كلامِه عذبَ اللفْظ، حسنَ السَّبكِ، صحيحَ المعنى، مُشْعراً بالتمام حتى تتحقَّقَ براعةُ المقطع بحسن الختام؛ إذ هو آخِرُ ما يبقى منه في الأسماع. وربما حُفظ من بين سائر الكلام لقرب العهد به. يعني أنْ يكون آخرُ الكلام مستعذباً حَسناً، لتبقَى لذَّتُه في الأسماع، مُؤذناً بالانتهاء، بحيثُ لا يُبْقي تشَوُّقاً إلى ما وراءَه، كقول أبي نُوَاس:

وإني جديرٌ إذْ بَلَغْتُك بالمُنى وأنتَ بما أمَّلْتُ فيكَ جَديرُ
فإن تُولِني منك الجميلَ فأهلُه وإلاَّ فإني عاذرٌ وشكورُ

وقول غيره:

بقيتَ بقاءَ الدهرِ يا كهفَ أهلِهِ وهذا دعاءٌ للبريَّةِ شاملُ

وقال ابن حجَّة:

عَلَيْكَ سلامٌ نشرُهُ كلَّما بَدا به يَتَغَالى الطِّيبُ والمسكُ يُخْتُم

وقولُ غيره:

ما أسألُ اللهَ إلا أن يدومَ لَنا لا أن تزيدَ معاليهِ فقد كَمُلَتْ

* * *

أقوال أئمة العلماء الأعلام؛ وآراء الأساتذة الكبار في تقدير كتاب

جواهر البلاغة

كتب أستاذي المرحوم صاحب الفضيلة **حسونة النواوي** شيخ الجامع الأزهر:

الحمد لله العلي القدير؛ والصلاة والسلام على النبي البشير النذير، وعلى آله وأصحابه الذين سلكوا طريقه المنير.

«أما بعد» فقد اطلعت على كتاب (جواهر البلاغة) الذي حاز كمال الصياغة لحضرة مؤلفه الأستاذ الفاضل «السيد أحمد الهاشمي» الحائز لكمال الفضائل فوجدته كتاباً نفيساً، قد اشتمل على بيان بديع المعاني؛ بأفصح عبارة، وأبلغ إشارة، وسلك فيه حضرة مؤلفه طريق التحقيق لصعاب الشوارد، مع كثرة التمارين و الأمثلة والشواهد، فجاء فريداً في بابه، مرغوباً ونافعاً لطلابه، أسأل الله تعالى أن يرزق مؤلفه الحسنى وزيادة، ويمنحه السعادة في الدارين والسيادة، ويوفقه للتعلم والتعليم ويهديه إلى الصراط المستقيم، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير.

وكتب المغفور له سماحة السيد **علي البيلاوي** شيخ الجامع الأزهر:

أحمد من رصَّع تاج اللغة العربية «بجواهر البلاغة»، فشرفها على سائر اللغات بكمال الصياغة، وأُصلِّي وأسلِّم على أفصح ناطق بالضاد، وأجلّ داعٍ إلى الله وهاد، سيدِنا محمد القائل: «إن من البيان لسحراً، وإن من الشعر لحكمة»، وعلى آله وصحبه الذين بذلوا أرواحهم في صون كتاب الله الكريم، ونشر دينه القويم.

هذا: وقد تصفحت جملة من كتاب «جواهر البلاغة» الذي أحكم صنعَه، وأبدع تصنيفه ووضْعَه، حضرةُ الفاضل، المجدُّ الكامل، الأستاذ «السيد أحمد الهاشمي» فرأيته جعل فرائد فوائد الفنون الأدبية على طرف التمام، بحيث لا يكلف طالبها أكثر من الاطلاع على كتابه، حتى يعود مسرور الفؤاد، قرير العين، بما وجده فيه من ضالته المنشودة، التي طالما أبعدته عنها صعوبة

المؤلفات السابقة في مثل فنون البلاغة وطولها بدون طائل، فجزى الله حضرة هذا الأستاذ الجليل عن طالبي الاستفادة خير الجزاء، ووفقه لما فيه الخير والنفع، إنه سميع الدعاء.

وكتب المرحوم أستاذنا الحكيم الإمام الشيخ **محمد عبده** مفتي الديار المصرية:

اطلعت على كتاب «جواهر البلاغة» في علوم المعاني والبيان البديع والسرقات الشعرية، فوجدته كتاباً عظيماً، وأسلوباً حكيماً، يشهد لحضرة مؤلفه الفاضل، بملاك الذوق السليم، والعقل الحكيم، هداه الله إلى ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾[1]. آمين.

وكتب أخونا الأستاذ الشيخ **أحمد الكناني** المدرس في المدرسة التوفيقية سابقاً:

الحمد لله البديع صُنْعُه، الحكيم وَضْعُه، الواهب من شاء ما شاء من نعمه، المفيض على من اصطفاهم من عباده وابلَ فضله وكرمه، نشكره هدانا بفضله الصراط المستقيم، صراط الذين حازوا أفضل العلم والتعليم، ونصلي ونسلم على أبي إبراهيم، المبعوث بملة أبيه إبراهيم، سيدِنا محمد ذي المقام الأسمى، الذي أنزل عليه في محكم كتابه ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[2]، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، الذين اجتمعت قلوبهم وقوالبهم على حبه واتباعه.

«أما بعد» فإن خير الكتب ما عم نفعه، وحسن لدى العقلاء وضعه، وكان متقن البيان، واضح الحجة، قوي البرهان، وإن كتاب «جواهر البلاغة» لمن خير الكتب وضعا، وأحسنها اختياراً وصنعا، لمؤلفه الفاضل الأستاذ «السيد أحمد الهاشمي» فإن لحضرته من التآليف العديدة، والتصانيف المفيدة، ما تَقَرُّ به أعين الناطقين بالضاد، ويفحم بمعجزاته كل مضاد، لا

---

(١) سورة الفاتحة، الآيتان: ٦و٧ .

(٢) سورة طه، الآية: ١١٤ .

سيما هذا السِّفْر الجليل، الذي جاء دليلاً على إخلاصه في النية لأبناء أمته، وبرهاناً ساطعاً على وفائه وحسن طَوِيّته، فقد جمع فيه ما تفرق، بعد أن حقق ودقق، فلا غرابة إذا احتاج إليه كل إنسان، لما فيه من مراعاة النظير وحسن البيان، فالله أسأل أن ينفع بالمؤلف العباد ويجعله بفضله كنزاً وذخراً إلى المعاد آمين.

* * *

obeikandl.com